القميــص

العنوان الأصلى للمسرحية
LACAMISA

تأليف
لاورو أولمو

ترجمة وتقديم:
د.طلعت شاهين

لوجو
الهيئة المربع

سلسلة
آفاق عالمية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• القميص
• تأليف: لاورو أولمو
ترجمة: د.طلعت شاهين
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2010 م
144ص ـ 5ر13 × 5ر19 سم
• تصميم الغلاف: أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: سوزان عبدالعال
• رقم الإيداع: ٣٤٥٤/ ٢٠١٠
• الترقيم الدولى: 978-977-479-866-9
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى : 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت : 27947891 (داخلى : 180)

• الطباعة والتنفيذ :
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : 23904096

86

سلسلة شهرية تعنى بنشر الأعمال المترجمة إلى اللغة العربية فى الأدب والنقد والفكر من مختلف اللغات

القميص

مقدمة

قدم المسرح الأسبانى للعالم العديد من الأسماء اللامعة التى أضافت إلى المسرح العالمى إضافات كبيرة، فقد انتظمت أسماء لامعة من المؤلفين المسرحيين الأسبان فى الصفوف الأولى بين المؤلفين العالميين، فهناك: ثربانتيس، كالدرون دى لاباركا، لوبى دى بيجا، وغيرهم من المؤلفين الذين لاتزال لأعمالهم المسرحية قيمتها الفنية والتاريخية.

ومع بدايات القرن العشرين قدمت أسبانيا اسما لامعا فى عالم المسرح المعاصر هو «فيدريكو جارثيا لوركا» ذلك الشاعر الفنان المسرحى الشامل، فقد كان شاعرا كبيرا ومؤلفا مسرحيا متميزا ستظل أعماله الدرامية تشكل جزءا هاما فى تاريخ المسرح الأسبانى والعالمى، وكان لوركا أيضا مخرجا مسرحيا وممثلا ومهندسا للديكور وموسيقيا، أى أنه كان رجل المسرح

المثالى الذى يجيد جميع فنون المسرح.

ثم فى النصف الثانى من هذا القرن برز جيل جديد كانت له محاولاته وإضافاته الجادة إلى المسرح الأسبانى والعالمى فى آن واحد، وقد كانت مهمة هذا الجيل صعبة فبعد أن فقدت أسبانيا كاتبها «لوركا» كان على الجيل الثانى التالى أن يتميز بميزة جديدة، فبرزت أعمال هذا الجيل الجديد، وتقدمت صفوفه أسماء لامعة ومتميزة أمثال: انطونيو بويرو باييخو، انطونيو جالا، مارتين ريكويردا، ورديجيث ميندیث، لاورو أولمو. وقد تميز هؤلاء الكتاب بخاصية هامة وهى المعرفة الكاملة والشاملة بأدوات المسرح ومتطلبات الأداء فيه، فكتب انطونيو بويرو باييخو مسرحياته راسما على الورق أدق التفاصيل وكأنها كتبت لتؤدى على المسرح وكأن الكاتب هو المخرج، ولعل هذا هو سر نجاح العديد من أعماله فى كل مكان قدمت فيه.

وعندما تقرأ أعماله مكتوبة، يمكن للقارئ أن يتخيل الحركة على المسرح وكأنها تؤدى أمامه، وأيضا تميز كاتب مسرحية «القميص» لاورو أولمو بنفس هذه الميزة التى تميز بها بويرو باييخو، وإن كان لاورو أولمو قد اتخذ لنفسه خطا فكريا واضحا، واتخذ أيضا موقفا خاصاً تجاه الأداء على المسرح، فهو يرى أن المسرح الحقيقى يجب أن يقدم إلى الجماهير فى أى مكان، ولايؤمن بالمسرح التقليدى الذى

تحده حوائط مسرح العلبة الإيطالية، فكانت مسرحياته، وبشكل خاص مسرحية «القميص» نموذجا للعمل المسرحى الذى يمكن أن تقدمه أى فرقة مسرحية، فى أى مكان؛ لأنه يؤمن بالمسرح الذى ينتقل إلى جماهيره. وهذه المسرحية التى بين أيدينا «القميص» تدور أحداثها فى حى شعبى من أحياء العاصمة مدريد، ويمكن أن تقدم فى ساحة شعبية فى الهواء الطلق مستخدمة البيوت المحيطة بهذه الساحة كديكور للعمل المسرحى، والكاتب كتب الحوار والحركة المسرحية التى تحرك شخصيات العمل، وليست فى حاجة كبيرة إلى جهد إخراجى، وربما كان ذلك مفيدا فى هذه المسرحية بالذات، التى قدمتها العديد من فرق الهواة للجاليات الأسبانية فى المهجر فى أوربا وأمريكا، لأن موضوعها يعالج جروح هذه الهجرة. وقد نجحت هذه المسرحية فى كل الأماكن التى قدمت فيها.

وقبل أن نتناول المسرحية، نتعرف أولا على الكاتب لاورو أولمو، فهو شاعر وروائى وكاتب مسرحى له العديد من الأعمال التى صدرت منذ عام ١٩٥٨ عندما فاز بجائزة «نادال» عن روايته: «أمس، ٢٧ أكتوبر» أما مسرحية «القميص» فقد فازت بالجائزة الوطنية للمسرح عام ١٩٦٣، وذلك على الرغم من الصعوبات التى واجهت هذه المسرحية عند تقديمها على المسرح لأول مرة.

فقد اعترضت عليها الرقابة آنذاك (فى عهد الجنرال فرانكو)،

ولكنها عندما قدمت لاقت نجاحا كبيرا، ثم سرعان ما انتشرت، لتقدمها فرق الهواة للجاليات الأسبانية فى أوربا وأمريكا، وبعض هذه الجاليات دعت الكاتب لحضور افتتاحها، كما حدث فى فرنسا وبلجيكا وسويسرا.. وعندما تم تقديم هذه المسرحية فى مدريد اعتبرها النقاد، البداية لمسرح شعبى أسبانى. فالمسرحية تعالج مشكلة اقتصادية واجتماعية وهى الهجرة بحثا عن العمل وبحثا عن حياة أفضل، وكان من المعروف فى ذلك الوقت أن العالم الأسبانى يبدأ حياته فى مصانع ومزارع أوربا، حتى يتسنى له أن يعيش حياة مطمئنة بعد عودته، والشباب له أحلامه فى امتلاك البيت والسيارة والزواج، ولكن الحياة الصعبة فى أسبانيا، والبطالة التى كان يعانى منها الشعب الأسبانى فى تلك الفترة – من نهاية الحرب الأهلية عام ١٩٣٩ وحتى رحيل الجنرال فرانكو وعودة الديمقراطية مع نهاية السبعينيات من القرن العشرين – دفعت بهم إلى الهجرة إلى أوربا وأمريكا للعمل، وتحقيق هذه الأحلام.

تقدم المسرحية العديد من الشخصيات: صاحب البار (باكو) الذى يملك المال فيستغل أمواله فى الحصول على المتعة واستغلال أبناء الحى الفقير، وهناك العامل (خوان) الذى يعيش وأسرته فى كوخ صغير ويحلم بالبيت الكبير والحياة الكريمة، ولكنه يرفض السفر للعمل خارج الوطن، لأنه يرى أن السفر إلى الدول الأخرى

هروب من الوطن، كل ذلك فى مواجهة الزوجة (لولا) التى انتابها اليأس من الزوج والحياة، وتريد حياة أفضل لأبنائها، وهناك الشيخ الحكيم (العم ماربياس) الذى يحلم بأسبانيا المتقدمة المرفوعة الهامة بين بلاد العالم الأخرى، ولكنه يحقق أحلامه من خلال الحب الجارف للوطن، ونجد بعد ذلك (ريكاردو) الزوج التعس العاطل وزوجته (ماريا) التى لاتجد معنى لحياتها وترغب فى الموت. ثم شباب الحى الذى يبحث عن تحقيق أحلامه فى البيت والسيارة والاستقرار مع المحبوبة، ويرون أن تحقيق هذه الأحلام فى السفر إلى ألمانيا، ولكن أحدهم (لولو) يتراجع فورا عن فكرة ا لسفر عندما يفوز بمبلغ كبير فى المراهنة على كرة القدم، لأن مشكلته الاقتصادية قد حلت، ويدور الصراع بين العامل (خوان) وزوجته (لولا) ذلك الصراع الذى ينتهى بأن تقرر (لولا) السفر وتترك زوجها وأطفالها الذى يحلمون بالخلاص كل على طريقته الخاصة.

برع الكاتب فى رسم شخصياته، وأيضا تقدم خطوة كبيرة على طريق جديد فى المسرح الأسبانى، وهو المسرح الشعبى، الذى يمكن تقديمه فى أى مكان دون حاجة إلى الخشبة التقليدية، وبهذه المسرحية أصبح اسم (لاورو أولمو) لامعا بين كتاب المسرح الأسبانى المعاصر، الذى يضم العديد من الأسماء اللامعة عالميا.

المترجم

الشخصيات

الجدة
أغسطينيو
ناتشو
السيد باكو
امرأة
خوان
ماريا
العم مارابياس
صبي
لوليتا
السيدة بالبينا
لولو
لويس
سيباس
ريكاردو
لولا

الفصل الأول

عند رفع الستار، يُرى الشارع يحتل أفقيا المستوى الأول من المسرح كله ثم يدور فى الناحية اليمنى، وينتهى إلى الخلفية، وفى المستوى الثانى على اليسار يوجد كوخ فقير يحتل ثلث المشهد، وعلى اليمين باب يؤدى إلى أرض فضاء محاطة بسور فيما عدا الناحية الأمامية، وعلى يمينها الشارع المذكور من قبل، وعلى يمين الشارع أو على يمين المشهد، يبرز «بيت باكو»، وهو عبارة عن بار ومطعم، وفى نهاية الشارع المؤدى إلى العمق منزل شعبى بطابقين يتقاطع مع شارع من اليمين واليسار، وثلثا العمق

الذى لاتشغله واجهة البيت تظهر فيه السماء الصافية، كل هذا المشهد يدل على حى بأطراف مدينة مدريد، ويظل هذا الديكور طوال الفصول الثلاثة.

على المسرح ترُى الجدة، وهى تنشر الملابس على حبل غسيل بالأرض الفضاء، الملابس التى تنشر: بعض السراويل الرجالى الداخلية، زوج من الجوارب، منديل وبنطلون، وفى الفضاء يجلس أغسطينيو وناتشو على الأرض، وطوال المشهد ناتشو يدخن، وحسب سير الأحداث يلقى بعقب السيجارة فيلتقطه أغسطينيو، ويأخذ منه نفسا ثم يلقيه».

الجدة: (تنشر الغسيل) ماذا سيفعل هذا الرجل بلا قميص؟ أى زمان هذا؟ إنه زمان التعاسة.

أغسطينيو: يا جدة.

الجدة: (لاتعيره انتباها وتواصل حديثها مع نفسها) كنت أنشر ثلاثة حبال من الغسيل. كانت لدى عافية، ورغبة فى الدنيا.

أغسطينيو: ياجدة..

الجدة: (كما هى) تحملت أيامها الصعبة، بطبيعة الحال، لكن الرجال خلقوا لهذا، لليسر والعسر، والذى لا يكون رجلا يمدد ساقيه ويجعلنا نعيش فى ضائقة.

أغسطينيو: (يقف) يا جدة.

الجدة: (تنتهى من نشر الغسيل) يا جدة. يا جدة. ماذا تريد؟

أغسطينيو: مليمان فقط يا جدة.

الجدة: ومن أين انتزعهما لك؟

أغسطينيو: أأقول لك؟

الجدة: يا ملعون هل عدت للتجسس علىّ؟

أغسطينيو: لم أخبر أحدا بذلك. وإذا أعطيتنى المليمين..

الجدة: (غاضبة) سأعطيك قضمتين من أحشائك؟ (تتظاهر بأنها ستذهب)

أغسطينيو: اسمعى يا جدة لاينقصنا سوى مليمين لكى..

الجدة: (تواجهه) لأجل ماذا؟

أغسطينيو: لنشترى بعض المفرقعات.

الجدة: (خانقة) مفرقعات. ألا تعرف أن أباك بلا قميص؟ انظر، يا مهرج (تريه الملابس قطعة قطعة) السراويل، الجوارب، منديل وبنطلون، لكن

القميص؟ أين القميص؟ وأنت تفكر فى شراء مفرقعات!... اقتصد لشراء قميص لأبيك، ليستطيع أن يقدم نفسه لصاحب العمل، ودعك من المفرقعات!.

(تلتقط الإناء الذى كانت تضع فيه الملابس وتدخل الكوخ)

أغسطينيو: (إلى ناتشو) تحتفظ بنقودها فى جورب أصفر، ولا تعطى شيئا لأحد، وتقول إنه لجنازتها.

ناتشو: يالها من عجوز!

أغسطينيو: وهل تعرف أين تخفيه؟

ناتشو: تحت البلاطة، أليس كذلك؟

أغسطينيو: لا إنها تحمله بين طيات ملابسها، مشبوك بدبوس.

(فترة صمت).

ناتشو: اسمع. هل تعرف ماذا قلت للسيد باكو؟ طلبت منه أن يدفع لنا أكثر.. وإلا فلن يرى خيرا.. وطلبت منه ريالين زيادة.

أغسطينيو: وماذا قال؟

ناتشو: لاشيء.. يرى أن ذلك كثير.. حاولت أن أتفاهم معه لكنه لايريد التفاهم.

أغسطينيو: إنه استغلالى.. أليس كذلك؟

ناتشو: إنه يثير التقزز، فعندما يرون إنسانا مسكينا.. اسمع هل حقيقة أن أباك ليس لديه قميص؟

أغسطينيو: لديه قميصان ولكنها ملونة.. وأمى تقول إنه لكى يقابل أى شخص يجب أن يذهب بقميص أبيض ورباط عنق. ألا يعد ذلك تخنثا؟

ناتشو: أنا لا أذهب هكذا.

أغسطينيو: ولا أنا. أو على الأقل كما تقول الجدة. إنه يريد أن يضع ياقة منشاة أيضا.

ناتشو: إنه سيبدو كمليونير مبطن بالنقود (ينظر باتجاه عمق الشارع فيكشف سيدة لها مظهر الزائرة الصحية).

أغسطينيو: ناتشو.. ألا تعتقد أنه..؟

ناتشو: (مقاطعا) اصمت، اصمت! (يجرى باتجاه الحاجز، وينظر من إحدى فتحاته ثم يستدير نحو أغسطينيو ويقول له) نبه السيد باكو. بسرعة.

أغسطينيو: (يجرى باتجاه البار وينادى من الباب) جاهز يا سيد باكو!

(يعود إلى جانب ناتشو. تقترب المرأة، ممتلئة

وجذابة، ترتدى ثوبا فضفاضا. يظهر السيد باكو ويراها، ويقول لهما بامتنان).

السيد باكو: سأعطيكما شلنا!

(يختفى مرة أخرى)

ناتشو: (إلى أغسطينيو) انبطح بسرعة.

أغسطينيو: (ينبطح على الأرض متقهقرا) آى. ماما. النجدة آى إنى أموت!

المرأة: (تجرى لتساعده) ماذا حدث لك يابنى؟ ماذا بك؟ (تنحنى المرأة وتحاول رفعه، حينئذ يقترب منها ناتشو بسرعة، ويرفع مؤخرة فستانها، السيد باكو يشاهد المنظر بالتفصيل. الفاجران يخرجان عدوا أمام حنق المرأة، أحدهما يخرج من اليسار والآخر إلى خلفية الشارع).

المرأة: (تسوى ذيل فستانها، غاضبة) ياسفلة.. يالها من قلة أدب!

المرأة: (إلى السيد باكو) هل شاهدت ماحدث؟

السيد باكو: بلا قصد.. يا آنسة. رغم أننى. ولو تأذنين لى أن أقول لك بكل احترام إننى لست آسفا.

المرأة: أنت إنسان وقح.

السيد باكو: وأنت لست مخلوقة.. بل منحوتة.

المرأة: (باعتذار وضيق تخرج من يمين الخلفية صائحة) سفلة!

السيد باكو: (يتتبعها قليلا) يالها من أمرأة!

(يظهر ناتشو من الناحية اليمنى، ويصل إلى صاحب البار ويقول له بمكر).

ناتشو: هل أنت مسرور يا سيد باكو؟

السيد باكو: ماذا أريد أكثر من ذلك يا غلام؟ (يشد شعره) آى.

أغسطينيو: (يدخل مهرولا من الناحية اليسرى، ويقول لناتشو) هل أعطاك الشلن؟

السيد باكو: اهدأ يا ولد. هدىء من روعك.

ناتشو: (مهددا) حضرتك قلت شلنا.

السيد باكو: (متوعدا) اسمع. لاتجعلنى أفقد أعصابى؟ هه؟ حتى لا أصفعك! (مغيرا لهجة الحديث) سأضاعف لكما المال وافتح لكما حسابا جاريا هيا!

ناتشو: (مهددا) حضرتك قلت شلنا.. «عشرون ريالا يا سيد باكو».

السيد باكو: (يخرج ريالين ويعطيهما لأغسطينيو) خذ.. أنت العاقل.. ريالان.. هيا ابتعد.. اخرج من هنا!

(يعطيهما ظهره ويتجه إلى داخل البار).

ناتشو: (مهددا) يا سيد باكو!

السيد باكو: (قرب الباب) لا تذكر اسمي يا غلام.

ناتشو: (بقوة) يا سيد باكو! (يستدير السيد باكو أمام باب البار مواجها ناتشو الذى يقوم فجأة بدفع رأسه فى بطن السيد باكو الذى يسقط نحو الداخل، ويصرخ) أنت رجل قذر.

أغسطينيو: (يمسك بناتشو) هيا، يا ناتشو، بسرعة!

(يختفيان معا فى عمق الشارع).

السيد باكو: (خارجا من البار، ويتبعهما إلى الخلفية) يا ابن الفاجرة أقسم لأدوسن أحشاءك، حتما سأمسك بك؟

(يظهر خوان فى آخر الشارع، ينظر إلى الاتجاه الذى اختفى فيه ابنه أغسطينيو وناتشو، ويتجه إلى السيد باكو ويسأله).

خوان: هل ضايقك أغسطينيو؟

السيد باكو: لا.. ليس ابنك هو الذى أريد أن أخنقه (يتقدمان معا) لكنه ذلك الناتشو عليه اللعنة، سيفسد ولدك.

خوان: كلنا فاسدون يا سيد باكو.

(يتوقفان، ومن الطابق الثانى من البيت يأتى صوت غاضب).

صوت ماريا: ياسكران.. يافاسد.. أتأتى فى هذه الساعة لتنام؟ انظر إلى المعطف كيف أتيت به؟ والبنطلون؟... هل رأيت البنطلون؟ لقد انتهى. دع أمك ترقعه لك؟ أنا لن أحتملك أكثر من هذا. (يسمع صوت صفق باب، يخفت الصوت) ياسكران! يانجس!

السيد باكو: يا لها من امرأة!

خوان: إنها امرأة مسكينة!

السيد باكو: (يربت على ظهره) كل شىء سيعود إلى ما كان عليه، يابنى. ليس هناك سوء يستمر مائة عام.

خوان: (جادا) لاتخرف، هذا صيف آخر يمر، وهناك (مشيرا إلى بيته) ياسيد باكو. هناك محشورون. وكما لو كان ذلك قليلا (يريه ذراعيه) هاتان فى الهواء. لم تمسكا ولاقبضة من الطوب.

السيد باكو: هل تريد كأسا؟... على حسابى.

خوان: لا ليس الآن.. أشكرك.

السيد باكو: هل تخاف أن تضعك «لولا» فى نفس ذلك الموقف

كـتـلك المرأة السـلـيـطـة التى تـسكن فى الطـابق الأعلى ؟

خـــــــوان: (بـجفـاء) تلك الـسـلـيـطة التى تـسكن فى الـطابق الأعلى لن تمر ساعة أو حتى ربع ساعة حتى تعود إلى طبـيـعـتـهـا ، وحـضـرتك تـعـرف ذلك ! إذن الـزم الصمت .

السيد باكو: أنا لم أقصد شيئا سيئا يابنى .

(خوان يتجه نحو الكوخ والسيد باكو ينظر إليه ، بـعد ذلك وبـإشـارة عـرضـيـة يـدخـل البـار ، وخـوان يدخل إلى الكوخ) .

الجـــــــدة: ماذا ؟

خـــــــوان: بيدين فارغتين ياجدة . . وابنتك ؟

الجـــــــدة: ذهبت مع الصغيرة لشراء بعض الطماطم .

خـــــــوان: (يجلس على مقعد قريب من المائدة) غدا سأذهب إلى الـراسـترو* لألقى نـظـرة ، ابنـتك عـلى حق فـيـمـا يختص بالـقـمـيص لابد من الاهتمام بالمظهر قليلا . وإلا . .

الجـــــــدة: طـبـيـعى يـا بـنى ! كـنـت دائـمـا أحـافظ عـلى شكل «انسيلمو» لأن شكله كان فيه بعض الصعلكة . وإلا

ما كـان لأحد أن يقـدر مجـهـوده . لـكن فى الـنـهـاية . كان دائـمـا يقـوم بـالأعـمـال المـريحـة . جاء إلى الدنـيا بـوابـا ومـات فـراشـا . لـكـنـه كـان دائـمـا يـرتـدى يـاقـة مـنـشـاة . مـازلـت أحـتـفـظ بـواحـدة مـنـهـا . . تـلـك الـتى تزوجنى بها . مازالت كما كان يرتديها الملعون .

خـــــــوان: ألم يأت سيباس إلى هنا ؟

الجـــــــدة: لا . لم يأت أحد . الذى سيـسافـر هو مـانـولـو ، زوج لـويـسـا أرسل لـه ابن عـمـه من جنـيف ، يـخـبـره عن وجـود عـمـل لـه هـنـاك . أنـاس كـثـيـرون يـذهـبـون . أتـعرف ؟ من يـذهـبـون إلى ألمانـيا أكثـر . ريمى هى الـتى أرسلـت خـطـابـا مـتـحـمـسـا . لـقـد ذهـبت لـتـخدم فى لـنـدن ، وتـقـول إن الخـبـز فى كل مـكـان . ربمـا . . . اسمع ، لماذا تبقى على لولا إلى جوارك ؟ تلك البلاد تحتاج إلى الكثيرين للعمل بها ! . . لتذهب هى أولا ، وعندما تستقر تذهب أنت مع الأولاد . (تتجه نحو خوان) لكن . ماذا حدث لك يا خوان ؟ أتبكى ؟

خـــــــوان: لاشىء ياجدة .

الجـــــــدة: يابنى .

خـــــــوان: دعينى ياجدة . دعينى . هذا يحدث من وقت لآخر .

الجــــــــــدة: اسمع..

خــــــــوان: (يضرب المائدة بقبضته، ويقف بشكل مفاجئ) دعينى فى سلام! (يخرج السيد باكو من البار ومعه منضدة يضعها أمام باب البار).

السيد باكو: (نحو الداخل) هات دكة ياولد.

الجــــــــــدة: (تقشر بطاطس) لو كنت أصغر سنا!.. لكن أين تذهب امرأة فى سنى؟ (من عمق الشارع يدخل العم مارابياس، ومعه حزمة بالونات ملونة. وعندما يشاهده السيد باكو ينادى عليه).

السيد باكو: سعدنا برؤيتك، يامارابياس. ثلاثة أيام دون أن أراك. كل هذا الغياب من أجل سمك «الميرلوثا».

العم مارابياس: لابد من الشد ياصاحبى. أتعرف بكم الكيلو اليوم؟ مائة وعشر بيزتات. هل تصدق هذا؟

(يخرج الصبى بالدكة المطلوبة)

السيد باكو: لذلك أنت تفضل اللتر بسبعة. هه؟ (يأخذ الدكة، ويبتعد الصبى متجها نحو البار) هات كأس نبيذ أحمر للعم مارابياس. على حساب المحل.

العم مارابياس: حضرتك دائما تمنح الطعم مجانا. يالك من ملعون.

السيد باكو: ماذا؟ ألا تجلس بعض الوقت؟

العم مارابياس: لا، الزبائن يهربون منى. هذه ساعة البالونات وبالمناسبة. هل شاهدت القمر الصناعى؟

السيد باكو: أيهما؟ الأمريكى أم الروسى؟

العم مارابياس: هل تقرأ الصحف؟ الروسى احترق، أنا أتكلم عن قمر الكوكاكولا «ايكو واحد» (يظهر الصبى بالكأس المطلوب) هات هنا ياولد. أى الصحف تتصفح.

(يشرب جرعة)

السيد باكو: «البويبلو»(١)

العم مارابياس: هل لديك عدد الأمس؟

السيد باكو: (إلى الصبى) هات «بويبلو» الأمس؟

(يدخل الصبى البار)

العم مارابياس: إلى جانب وزن حذاء دى ستيفانو، تأتى المواعيد واتجاهات البالون: أقصد الـ«ايكو» الانشغال الشديد بالكرة يجعلنا نخلط الأشياء (يظهر الصبى ومعه الصحيفة، يأخذها منه العم مارابياس يتصفحها وفى النهاية يقرأ) اسمع. ساعات واتجاهات اليوم لمشاهدة القمر الصناعى «ايكو

واحد». في مدريد: **٨,١٩** ليلا شمال المدينة، **٥٨** درجة ش.ش (ينطقها شش)، **١٠,٢٤** ليلا شمال المدينة، **٦٧** درجة ج.ش (ينطقها جش) لابد من مشاهدته. ياسيد باكو. (يترك الصحيفة على المائدة) ولو لمجرد حكايته للأحفاد.

السيد باكوك لكن اسمع. هل تفهم فى مسألة الدرجات و«شش» و«جش» المكتوبة هنا.

العم مارابياس: أنا لا أعقد حياتى. فقط أرفع رأسى وأنظر! هل تعرف فيم أفكر؟

السيد باكو: وكيف لى أن أعرف؟

العم مارابياس: فى اليوم الذى تمتلىء فيه السماء بالأقمار الصناعية ويلونونها بالألون سيخلدوننى. أحد أحفادى سيقرأ فى الأوراق: «العم مارابياس» أسبانى! ممن سبقوا رواد الفضاء إيه! ما رأيك؟ (يشرب النخب) فى صحة وطنى. مملكة الخيال!.

(فى الكوخ. الجدة تخرج الياقة المنشاة من الصندوق وتحاول أن تضعها حول رقبة خوان).

الجـــدة: ستذهب بمظهر السيد، وسيهتمون بك.

العم مارابياس: (مودعا) إلى اللقاء ياسيد باكو.

الجـــدة: اعتدل قليلا.

العم مارابياس: (يبدأ فى الخروج) بالونات!

الجـــدة: أنا اعتقد شيئا، ماذا سيحدث فى هذا البلد، عندما نرتدى جميعا ياقة منشاة.

العم مارابياس: بالونات ملونة! (يخرج) اشتروا بالونات.

(تدخل «لوليتا» من عمق الشارع وفى يدها حقيبة ورقية بها طماطم، وعندما تمر أمام صاحب البار يحييها بأدب).

السيد باكو: أهلا ياصغيرة.

لـوليـتـا: صباح الخير ياسيد باكو.

(ترتبك لوليتا فتسقط منها الحقيبة وتتبعثر الطماطم على الأرض، وعندما تنحنى لتلتقط الطماطم تظهر ساقاها، ينظر إليها صاحب البار ثم يتجه نحوها، ويساعدها على التقاط حبات الطماطم، ويقول لها).

السيد باكو: أنت جميلة جدا. يالوليتا (صمت) كم عمرك؟

لـوليـتـا: سأكمل الرابعة عشرة فى يناير؟

(تقف وهى تلتقط الطماطم ما عدا حبة واحدة تنزعها من يد صاحب البار، وتدخل الكوخ).

السيد باكو: أنت جميلة جدا.

(يتجه نحو المنضدة، يلتقط الصحيفة ويجلس).

لوليتا: أهلا يا أبى. الطماطم ياجدة (تترك الحقيبة فوق المنضدة).

الجدة: (تأخذ إبريقا من الفخار كان موضوعا إلى جانب الفرن وتصب الماء فى الوعاء الذى به البطاطس المقشرة) وأمك؟

لوليتا: لقد ذهبت إلى الراسترو لترى إن كانت ستجد..

الجدة: آه.. آه..

(تظهر السيدة بالبينا فى الطابق الأول لتنشر الغسيل الذى تضعه فى طست).

بالبينا: صباح جميل. أليس كذلك ياسيد باكو؟

الجدة: انتظرى يا صغيرة.

السيد باكو: صباح لائق بالسائح الغالى يا بالبينا.

الجدة: أنسيت المبولة، أخرجيها، هيا.

بالبينا: غال وبنقود يو. اس. ايه. (تسحب لوليتا المبولة من تحت السرير، وتخرج بها إلى الفضاء، وتلقى بما فيها فى ركن لوليتا). هل أمك بالبيت؟

لوليتا: لا، يا سيدة بالبينا. ذهبت إلى الراسترو. هل

تريدين منها شيئا؟

بالبينا: عندما تعود، قولى لها إن تنادينى. أريد أن أتحدث معها.

لوليتا: حاضر. سأقول لها.

(تدخل بالبينا البيت. وتتجه لوليتا نحو مدخل الكوخ، ولكن صوت صاحب البار يستوقفها).

السيد باكو: فى يوم ما سيمسك بك الحارس.

لوليتا: لن يمسك بى وحدى يا سيد باكو. نحن كثيرون الذين...

السيد باكو: لو أنك ابنتى: كنت ستعيشين فى بيت جديد..

الجدة: (من داخل الكوخ) يا صغيرة.

السيد باكو: بحمام وصنابير، صنابير كثيرة تنزل منها المياه.

الجدة: (تطل من الباب) عم تتحدثين هنا؟ هيا، خذى الإبريق واذهبى لإحضار الماء.

السيد باكو: أهلا ياجدة؟

الجدة: (تدخل دون أن تعير صاحب البار انتباها، تتبعها لوليتا، وتترك المبولة تحت السرير، وتأخذ الإبريق، بينما يحدث هذا. الجدة تقول) هذا الرجل يصيبنى بالغثيان.. لاتعطيه فرصة للحديث معك؟ (إلى

خوان الذى يرفع غطاء الوعاء على النار) بطاطس يتيمة مرة أخرى.

خـــــوان: مذاقها جميل، يا جدة، حضرتك تمنحينها طعما لذيذا.

(ما تكاد لوليتا تخرج بالإبريق وتتجه إلى اليمين، وقبل خروجها يقول لها بتؤدة صاحب البار..).

السيد باكو: بصنابير كثيرة يالوليتا.

الجـــــدة: بالممارسة، يابنى. أحب طعام إلى الطماطم بالملح، ويمكن أن أتحملها مقلية بالزيت، بشرط أن تكون كما هى عندما تخرج من الأرض..

خـــــوان: تلك هى الصحية. شىء خفيف، وبهذه الطريقة يمكن مواصلة الحياة.

الجـــــدة: اسمع يا خوان، الصغيرة لو عملت يمكنها أن تقدم للبيت بعض النقود.

خـــــوان: القانون لايسمح بالعمل لمن هم فى مثل سنها.

الجـــــدة: القانون، القانون! أقل منها بسنوات يعملن فى حمل الطلبيات. ابنة فيليسا يعطونها سبع بيزتات، آخر طيب يابنى! أنا أعرف أن النقابة لاتسمح بالعمل حتى الرابعة عشرة، وألا يزيد

اليوم عن عشر ساعات. لكن هذا فى محلات الفاكهة، أو الحلوى، أو أى شىء آخر، إذا كان لايهمك ذلك فإن أغسطينيو يمكنه..

خـــــوان: (يقف غاضبا) أغسطينيو سيذهب إلى المدرسة، خلال أيام ستبدأ الدراسة، وهو سيعود إليها صباحا وظهرا ومساء لو كان هذا ممكنا. حتى لو مات من الجوع، فليمت، لكن ليمت والكتاب بيديه.

(يخرج ويصل إلى الجزء الموجود به الحاجز القريب من الكواليس، ويضرب عليه بقبضته، ولم يكن يعرف أن صاحب البار يراقبه).

السيد باكو: أتوجد عاصفة يابنى؟

خـــــوان: (يدخل البار) نعم، هناك عاصفة!

السيد باكو: (داخلا أيضا) يافتى.. قدم ما يطلبونه منك، الكأس الأول على حساب المحل. (فى العمق تظهر رأسا أغسطينيو وناتشو الذى يقول له).

نـــاتـــشـــو: هيا، اذهب واعطه قفاك؟

أغسطينيو: لماذا لاتذهب أنت؟

نـــاتـــشـــو: (يدفعه) لاتكن عبيطا!

(يتقدم أغسطينيو بسرعة وعلى أطراف أصابعه إلى

البار، ينظر إلى الداخل بحرص، ويتجه نحو ناتشو ويطلق صفيرا خفيفا).

أغسطينيو: الطريق خال!

(يتجمعان فى الأرض الفضاء ويخرجان المفرقعات لتخبئتها).

ناتشو: كم معك؟

أغسطينيو: اثنتان فقط.

ناتشو: وثلاث لى، خمس، بخمس مفرقعات..

(تظهر لوليتا من الناحية اليمنى، تحمل الإبريق الفخارى، وتتجه نحو ناتشو فتقطع حديثه).

لوليتا: (فرحة) ناتشو!

ناتشو: (ينظر إليها بلا مبالاة، ويعود للحوار مع أغسطينيو، وقبل أن يتكلم يقول باحتقار) ولماذا تظهر هذه الآن؟

لوليتا: (مفاجأة) ناتشو، لكن، ماذا حدث لك؟

ناتشو: (يحرك رأسه نحوها بعصبية) لاشيء.. (نحو أغسطينيو) ياله من وجه حين تغضب..

لوليتا: (تضع الابريق على الأرض) أنا لا أفهمك.

ناتشو: (بقسوة) أمس لم تأت فى موعدك!

لوليتا: ذهبت مع أمى لنغسل.

ناتشو: إذن نبهينى، ولاتتركينى انتظر!

لوليتا: (بمكر) نلتقى هذا المساء؟

ناتشو: (يتراجع قليلا) وإذا قلت لك لا؟

لوليتا: (بتخابث مقصود) فى نفس المكان! هه. هل أنت موافق؟

ناتشو: (يتراجع ويبتسم ويدفعها بكتفه) حسنا!

أغسطينيو: اعطنى مليما، واحدا فقط، وإلا سأخبرهم بما حدث؟

ناتشو: (مهددا) ماذا أعطيك؟

لوليتا: لاتهتم، لن يقول شيئا.

أغسطينيو: أنت واثقة من نفسك.. أنا قلت، أبيع نفسى بمليمين!

لوليتا: ولو قلت أنا للجدة ما حدث بالليل؟ عندما انتهزت فرصة نومها، وكدت أن تأخذ الجورب.

أغسطينيو: (مهددا) أنا..؟

لوليتا: نعم أنت!

أغسطينيو: أنت تخرفين يا فتاة.

لوليتا: (بمكر) سأقول لها؟

أغسطينيو: (يواصل تهديده) إذن ستلتقيان فى نفس المكان؟

لوليتا: (بمكر) نعم، وما الغريب فى هذا؟

أغسطينيو: (متراجعا) هذا حقكما يا أولاد (يتجه إلى الكوخ) ماما (يدخل وعندما لايجد أمه يستدرك) ياجدة، هل أجد لديك قطعة خبز؟

الجدة: ولا قطعة حجر يا بنى. اصبر قليلا، حالا سنأكل شيئا.

(أغسطينيو من جديد إلى الأرض الفضاء، ويشاهد لوليتا وناتشو وقد تماسكا بالأيدى فيقول لهما بمكر).

أغسطينيو: انتهزا الفرصة، الحياة قصيرة!

(تلتقط لوليتا الإبريق وتدخل الكوخ).

ناتشو: (إلى أغسطينيو) لاتكن صعلوكا؟

الجدة: (إلى لوليتا) ضعى قليلا فى الطست.

ناتشو: بخمس مفرقعات لانستطيع أن نفعل شيئا (تظهر بالبينا وتواصل وضع الغسيل على الحبل) لو تحصل على ثلاث أيضا، سيكون الرعب كبيرا.

أغسطينيو: حسن، فلنخبئها.

ناتشو: لنقشرها، ولتر.

(السيد باكو يطل من باب البار).

السيد باكو: (يحكى شيئا ما لبالبينا بصوت مرتفع) بالطبع، المصيفون لايعرفون ما ضيعوه، منذ عدة أيام وكأننا مكلفون بذلك.

(عند سماع صوت صاحب البار يختبئ الملعونان خلف الحاجز).

بالبينا: كما لو كان الشمال قد انتقل إلى الحديثة النقابية. فى حياتى ما شاهدت لحما بالأكوام كهذا.

السيد باكو: لو لم تكن لويسا ممتلئة، أنا متأكد من أنه يمكننا النوم ببطانية واحدة. (يضع ناتشو يده على فم أغسطينيو الذى كادت تنطلق منه ضحكة) لكن المعلونة لها حجم!

بالبينا: لاترفع صوتك بالشكوى، دفء طبيعى فى الشتاء.

(لايستطيع أن يصمت أكثر من ذلك، وينفجر

أغسطينيو: بالضحك) آى، يا له من رجل!

بالبينا: (مشيرة إلى أغسطينيو) لقد سمعنا هذا الولد، يالها من ضحكة تلك التى أطلقها!

السيد باكو: (مكتشفا ناتشو) آه أيها الطفيلى، الآن ستدفع الحساب (يستعد ناتشو للجرى).

ناتشو: أنت الطفيلى.

(يخرج صبى البار ليتأمل المشهد)

السيد باكو: سأحطم فمك هذا!

(يتحرك ناتشو بسرعة ويسقط على الأرض، يحاول السيد باكو أن يدوس عليه لكن ناتشو ينهض بمهارة ويهرب إلى يسار الخلفية، وبالبينا تضحك بلذة ويصيح أغسطينيو).

أغسطينيو: اجرى ياناتشو.

السيد باكو: (يعود بعد أن خرج يجرى خلف ناتشو) هذا الملعون سأريه يوما لم يتوقعه، (إلى أغسطينيو) وأنت..!

(يمسكه من ذراعه).

أغسطينيو: لكن، ماذا فعلت لك؟ لم أفعل لك شيئا.

السيد باكو: ستدفع نيابة عن الآخر!

أغسطينيو: (هاربا) هيا.. هيا! (يخرج جاريا من نفس مكان ناتشو) ناتشو، انتظرنى.

بالبينا: (تزداد ضحكتها) لديك شحم زائد.

السيد باكو: اللعنة على أمهاتهم (إلى صبى البار بغضب) وأنت، ماذا تفعل هنا؟ هيا إلى الداخل، عليك

اللعنة!

(وهو يقول له ذلك يضربه على قفاه، ولكن لايصل إلى ركله بقدمه لأن الصبى دخل إلى البار جريا، ويدخل هو أيضا).

بالبينا: ألم أقل لك، إنك ستخلق منها قضية، هيا!

(ماريا صاحبة الممر الثانى، تظهر فيه ومعها إناء به ملابس مغسولة مكونة من قطعتين: بنطلون وجاكت، تنشرهم، وفى نفس الوقت ترفع الصوت قائلة).

ماريا: المرة القادمة سأذبحك أو أشنق نفسى فى هذا الحبل! اللعنة على الساعة التى تزوجتك فيها! كان الأفضل أن أقف على النواصى!

بالبينا: اخرسى يابنت، ماذا تقولين؟

ماريا: لكن، هل هذه حياة؟ الأب سكير! الأخ سكير! كما لو كان واحد منهما غير كاف، ويسقط على رأسى هذا الوغد، رجل بلا ذوق ويطلبون منى أن أصنع منه إنسانا! (تدخل) أقسم لأذبحنه أو أشنق نفسى.

بالبينا: أقسم، أقسم، كأنما نحن فى الدير. الجميع يقسم

بـالله. (تدخل الجدة إلى الكوخ، وتخلع رداءها، وتستعد للاستحمام).

لوليتا: ماما تأخرت، لابد أنها تبحث فى كل السوق.

الجدة: (تبدأ فى الاغتسال) عندما تذهبين بنقود قليلة، لا يمكنك أن تعرفى فى أى ساعة تعودين.

لوليتا: ترى هل تجد القميص؟

الجدة: اليوم كل شىء مرتفع الثمن ولكن لابد أن تجد أى شىء، لامفر. (يظهر سيباس فى عمق الشارع ومعه لولو ولويس يأتون وهم يتحدثون).

لولو: هذا الأندلسى يتجول كثيرا. إنه يعرف كل الأماكن.

لويس: ياله من وجه.

سيباس: (نحو الكوخ) ياخوان.

لويس: أنا لا أحب معاشرة هذه الأصناف.

سيباس: (يتجه نحو الكوخ) يجب الذهاب بحثا عن كأس، ياخوانيو!

لولو: (يدخل البار، ويعلق على كلام سيباس) لابد من البحث عن مولى طيب يالويس، وإلا سنضيع هباء.

سيباس: (أمام باب الكوخ) ياخوان، اسمع!

ليس هنا.

الجدة: (تجفف نفسها بشكل طبيعى) آه! أهذا أنت يا سيباس؟

سيباس: أنا هو، يا جدة، أين ذهب خوان؟

خوان: (يظهر على باب البار) سيباس، أنا هنا.

سيباس: سنراك مرة أخرى، ياجدة، إلى اللقاء يا لوليتا.

الجدة: (بصوت مرتفع) ماذا عن ذلك السفر؟

سيباس: (فى منتصف الطريق بين البار والكوخ) أنا أعددت الحقيبة (إلى خوان) أريد أن أتحدث معك. (إلى داخل البار) يالولو، تعال هنا، حيث الهواء أكثر وأحضروا معكم بعض المقاعد، أنا سأمضى ياخوانيو! (يخرج جواز سفر ويلقى به على المنضدة) انظر هذا جواز السفر، وسأعود خلال سنة بـ«فولكس فاجن»(٢) من تلك.

لويس: (الذى يخرج من البار بمقعدين) هذا يعتقد فى الكلام واللحم المفروم.

سيباس: (يجلس) أى كلاب وأى قطران، إذا كان المرتب بالماركات، تحوله إلى ورق أصغر، تلقيه فى القداس وتفتن كل بنات الحى.

(يجلس، يخرج السيد باكو ومعه زجاجة نبيذ أحمر، يتركها على المنضدة).

السيد باكو: (يتجه نحو سيباس) ماركاتك ستضيع فى النبيذ، وعشرات الكؤوس. وستبقى بحلم الإطارات الأربعة، وسترى عندما تنظم أفكارك فى دورة المياه، ولاتستطيع لف سيجارة خلال المهمة..

سيباس: ثم ماذا؟ من يدفع يطلب!

لولو: (يخرج ومعه مقعد، يضع قدمه على المقعد، وفى نفس الوقت يضرب جبهته بكفه) لدينا فهلوة العبيد، اعتدنا قياس كل شيء يسقط فى ا لقدر. لكن رؤية كيفية الحياة فى الخارج، ومشاهدة معاملة الشعوب الأخرى، وتفتح العينين بحدقة ماهرة؟ ماذا؟ هذا لاشىء.

سيباس: (إلى لولو بينما يملأ الأكواب) لولو، أولا تضع وزنا كافيا فى محفظتك، ثم رزمة صغيرة، أتعرف؟ لست فى حاجة إلى أن تكون كبيرة. الرزمة الكبيرة تؤلم القلب.

السيد باكو: (بسخرية) وأنت، أين تضع قلبك؟

سيباس: على اليسار يا صديقى، مثل كل هؤلاء.

السيد باكو: عندما تصل إلى غرفة السطح، الق نظرة على الأمريكية، وسترى أن جيب الرزمة على اليمين، أيها الثرثار، ألا تعرف أين تعيش؟ لماذا تحمل حافظتك فى جيبك الخلفى؟

لويس: لكل أجر ما..

سيباس: (مقاطعا صاحب البار) أين أحملها..؟ قليلا من السخرية ياسيد باكو!

السيد باكو: (ذاهبا إلى البار) هيا، اضبطوا أعصابكم! منذ فترة وأنتم لاتطيقون شعرة!

لويس: (إلى السيد باكو الذى يدخل البار) لو كنا مثلك، عندما يزداد سعر النبيذ يزداد سعر الماء أيضا..

(ضحكات)

لولو: (ضاحكا وهو يغمز لويس بكوعه) ضربة طيبة ياولد!

سيباس: (إلى خوان) خوانيو، ماذا حدث لك؟

لولو: أنه يقلبها غما.

سيباس: (يربت بكفه على ظهر خوان) تشجع يا خوان!

لويس: (إلى سيباس) هل تعرف ما اعتقد أن له قيمة فى ألمانيا؟ غسيل الملابس. أراك تفرك يديك كما لو

كنت فى الخدمة العسكرية.

سيباس: (إلى خوان) انظر، أنا سأعبر الحدود بعد غد، عندما أصل سألقى نظرة سريعة ثم أكتب لك. إذا أعجبك ما سأقوله لك، تحزم أمتعتك (إلى الآخرين) أقول لكم نفس الكلام.

لولو: أنا لن أنتظر حتى يصل الخطاب. أنا أريد أن أدور العالم قبل أن أشيب. قد أكون سعيد الحظ. من يعرف!

لويس: (مشيرا إلى خوان) الزوجات والأولاد يجعلون وضعى معقدا. أعتقد أن مشكلة السكن مثل العظمة. لم يعد هناك إلا أماكن ليناموا فيها كالبهائم.

سيباس: ولأنهم يسافرون بالآلاف، فتصور المشكلة!

لويس: بدون المرأة يمكنك أن توفر قليلا. (إلى خوان) وأنت أليس هذا صحيحا؟

سيباس: يالكم من رجال! دعوهن يسترحن قليلا، بعد ذلك تأخذ وهن برغبة أكثر.

لويس: ليس هذا فقط يا رجل.

لولو: (بمكر) وأيضا، الألمانيات،... (إلى سيباس، وهو

يغمزه بكوعه) أليس كذلك؟

سيباس: لقد خرج لولو! لاتفكر إلا فى...
(يغمزه هو الآخر بكوعه)

لولو: (مقاطعا) إلا فى الأكل، يا سيباس، إلا فى الأكل، ولو بعد ذلك.

سيباس: (بتلميح) ولو بعد ذلك؟

لولو: (بمكر شديد) بعد ذلك، بعد ذلك (ضحكات، لولو يقول واقفا) أى شيء، أى شيء. (ضحكات، ترنيمات ببعض من موسيقى «الباسودوبلى» من مقطوعة القط مونتيس، ويرقصون بعنف شديد. هذا المشهد يجب إعطاؤه صورة مرحة وحيوية بين الضحكات، تقاطعهم بالبينا، وهى تظهر من مكانها).

بالبينا: كفى فضائح يا أهل السوء.

لولو: هل أنت مريضة؟

بالبينا: أنا؟ لا، إنها الحياة!

سيباس: العافية يا سيدة بالبينا، العافية!
(ضحكات)

لويس: يالهما من ضربة.

لــــولـــــو: ضربة؟ (ذاهبا باتجاه لويس ويضربه بقبضته فى بطنه) مباشرة فى الكبد يارجل!

خــــــوان: (بعنف) ألا تريدون السكوت؟

لــــولـــــو: هيا يا هذا. (إلى الآخرين) لكن. ماذا حدث له؟

لــــويس: خوان، لاتكن ثرثارا؟

ســيــبــاس: (يربت بكفه على كتفه) تشجع يا رجل.

خــــــوان: تشجع. آخر الخادمات التى وصلت القرية تحكى عن لندن أو جنيف أو.. هيا، تقلب الخريطة كما تريد! (ناهضا) ولانتكلم عن المحرومين، كلهم يريدون الهرب بحثا عن المستقبل الزاهر لغسيل الأطباق، أو أى شيء آخر (يغير لهجته) هل تعرفون أين زوجتى الآن؟ فى الراسترو. ذهبت بحثا عن قميص أبيض (يتمشى قليلا دون أن يبتعد عن المنضدة، بالبينا تختفى من ممرها، (لولو يجلس) قميص، لو طلبوا منها أكثر من ثلاثة شلنات لن تستطيع شراءه. لنفترض أنها ستحضره، وغدا سأرتديه، نظيفا من أعلى إلى أسفل (يشير إلى الملابس المنشورة على حبل الغسيل بالأرض الفضاء) هناك بدلتى الرسمية! سأذهب لرؤية المالك وسأقول له

أن يخلق لى عملا، أو أطلب منه أن يتحمل الهم معى، أنا لا أريد، أنا لا أريد السفر! (صمت) هل تذكرون ابن عمى انطونيو؟

صوت ريكاردو: ماريا، استحلفك بأمك! احضرى لى البنطلون. (يبدو صوتا متلعثما لسكير).

خــــــوان: ذهب إلى مدينة تروخيو و...

صوت ماريا: أنا قلت لك إنه يجف! ولاتلمسنى!

(أعلى تشتد المعركة)

صوت ريكاردو: أريد بنطا... لونى يازفت!

صوت ماريا: دعنى وإلا سأضربك بالمقلاة.

(تحت يضحكون)

صوت ريكاردو: لاتكونى سيئة يا امرأة.

صوت ماريا: اسمع، إياك أن تنظر إلى ملابس الأحد، لا تلمسنى، ابتعد ولاتقرفنى.

صوت ريكاردو: (تقريبا كالصرخة) أريد بنطا...!

(تسمع ضربة شديدة، ويصمت كل شيء بعد ذلك).

لــــولـــــو: لن أتزوج، هه! أنا لن تضربنى أية امرأة بالمقلاة.

ســيــبــاس: أنت وأنا نتصعلك، كالجميع.

صوت ماريا: ريكاردو ! ... ريكاردو ، ياحياتى !

سيباس: وإن لم يضربننا بالمقلاة سوف لايكون هذا فى صالح الأوانى.

ماريا: (تخرج إلى الممر وتصرخ لأسفل) سيدة بالبينا سيدة بالبينا !

لويس: لا أوانى ولا مقلاة ، أجر مجز ولا شىء ، وتعود الأعصاب هادئة.

ماريا: سيدة بالبينا هل تسمعيننى ؟

بالبينا: (تخرج إلى ممرها) لكن . ماذا عدت تفعلين لريكاردو ؟

ماريا: اصعدى ، اصعدى بسرعة !

بالبينا: (تدخل) أنت ستترملين مبكرا .

(تدخل ماريا أيضا) .

خوان: كلهن عصبيات ، عليهن اللعنة !

صوت ريكاردو: (إلى خوان) أنت تدور فى حلقة ضيقة .

صوت ماريا: ريكاردو ! ريكاردو ! هاك ملابس الأحد و(بالدى بنييتاس)(٣) بالدى بنييتاس زجاجة مقفلة - أى ، يا سيدة بالبينا ! ...

لولو: (يغمز لويس بكوعه) يوه .. بالدى بنييتاس ،

ها ... ها ... ها .

سيباس: ليس هناك حل غير الذى بحثت عنه النقابة : رحلة إلى ألمانيا .

ماريا: أنا قتلته .. أنا قتلته !

صوت بالبينا: اهدئى يا ابنتى .. اهدئى ! ...

سيباس: (إلى خوان) وأنت انتظر خطابس .

صوت بالبينا: هذا لاشىء .. احضرى لى ماء وشريطا لاصقا .

سيباس: (إلى خوان) وسنرى كيف تغير موقفك ، يالك من رجل !

صوت بالبينا: هل لديك كحول !

سيباس: تعود على أن يرى كل شىء أسود . كأنما قوس قزح قتل أباه .

خوان: لست واضحا يا سيباس . الطريق ضيق فى مواجهتك .

سيباس: لكنها تدور بالإطارات .

خوان: وأنت لاتدرى .

لولو: نحن عطشى (مناديا) هه ، ياسيد باكو ! واحدة باردة من الأحمر !

سيباس: انظر يا خوان ، أنا أحب ماروخا ، كان يجب أن

تتزوج منذ عشرة أعوام، لكن، بأى شيء..؟ أنا اقترب من الأربعين، وهى.. شابت! عندما نتنزه معا ويمر بجوارنا شاب من شباب هذه الأيام، أبدأ فقط فقدان بصرى، وهذا يدخل إلى العمق، لا أحب ذلك، ولا أحب نظرة الانكسار التى -أحيانا- تغشى عيون ماروخا، وحدث أخيرا أننا لم نحترس وهى الآن..

لـــولـــو: (باهتمام شديد) يوووه.

ســيــبــاس: (مواصلا) حامل. وإذا كنت أريد الهروب من هنا، هذا لإصلاح الحال. نحن أتعسنا كثيرات فى هذا الحى، ولا أريد لماروخا أن تكون واحدة منهن. هل هذا واضح؟

خـــــوان: نحن أناس تعساء.

ســيــبــاس: إذن الأفضل أن نبتعد عن التعاسة (يقف وينادى باتجاه البار) يا صبى. هات لنا شرائح الخنزير، أو كازوزة (إلى لويس)، وأنت غنى عن أى شئ، لا تترك هؤلاء الملاعين يفسدون لذتنا.

العم مارابياس: (ينادى من الداخل) بالونات ملونة.

لـــولـــو: (إلى لويس) اسم (يغنى) سأترك الراهب إلى ذات الحواجب.

العم مارابياس: (صوت داخلى) من أجل الولد، من أجل البنت!

لـــولـــو: إلى ألمانيا يا شباب سأسافر.

العم مارابياس: (صوت داخلى) من أجل الفيلسوف أيضا!

لـــولـــو: فى الحى سأترك كل الجوع وياللشرب الذى سأعاقر (يصفق، يخرج صبى البار بطبق ملىء بشرائح الخنزير).

الله.. الله.. عاشت شرائح اللحم لا يأخذ أحدكم أكثر من قطعة واحدة، وهناك طبق آخر، هيا سنوا أسنانكم، وانسوا الصوم (يأخذ قطع اللحم، ويتركها على المنضدة، يدخل الصبى إلى البار من جديد، يأتى العم مارابياس من العمق ومعه بالوناته).

العم مارابياس: (مناديا) بالونات مصنوعة من خامات محلية!

لـــولـــو: أهلا ياعم مارابياس.

العم مارابياس: طابت أيامكم يا سادة.

لـــولـــو: (إلى الداخل) ياصبى، مقعد آخر للعم مارابياس.

ســيــبــاس: (يقف) اجلس بعض الوقت معنا.. هيا.

العم مارابياس: (يجلس) شكرا لك.

لـــــــويس: ماذا ! ما أخبار التجارة ؟

العم مارابياس: تـهـبط البـالـونـة يـابـنـى . الآبـاء والأمـهـات أغـلـقـوا الجوارب ، وليست هناك طماطم لإنقاذى .

لــــولـــــو : (يقف ويقترب من العم مارابياس) كفكف أحزانك ياصديقى ، الآن فورا سأشترى من حضرتك أربع بالونات من أجل هذا الجمع ، أنت حزين . هيا ، فك الربطة ، لقد دخل إلى محلك رجل ممتلىء بالأحلام .

(سيباس يأخذ الكرسى الذى جاء به صبى البار ويجلس عليه والصبى يعود إلى البار من جديد) .

العم مارابياس: (إلى لـولـو) بـعض زبـائن مـثـلك ، وأتحـول إلى الرأسمالية يا جميل ، هاك أول بالونة .

لــــولـــــو : (يأخذها ويعطيها لـويس) علـقـها فى الياقة يا لويس .

لـــــــويس: الأولاد سيفرحون .

(يعلق البالون فى فتحة الياقة) .

العم مارابياس: (يعطى لولو البالون الثانى) شمس أسبانيا ، شمس أسبانيا بالقطارة .

لــــولـــــو : (يعطى البالون إلى سيباس) هاك . له نفس حجم رأسك (يأخذ البالون الثالث ويعرضه على خوان)

خذ يا خوانيو .

خـــــــوان : (بضيق) ليس لدى وقت للبالونات .

العم مارابياس: علقه يا صديقى ، إنه جزء من الطفولة .

(يظهر ريكاردو على باب البيت ذى الممرات ، يتقدم نحو المنضدة ، ويرتدى ملابس أيام الأحد ، وعلى حاجبه شريط لاصق كبير « هذه الشخصية ليست لها علاقة بهذا الهزل المعتاد » وعندما يراه لولو يذهب للقائه بالبالون الذى لم يأخذه خوان ، ويعلقه فى زرار صداره) .

لــــولـــــو : أوه ، ركاردينو ، مرآة وزهرة الأزواج الشهداء ، باسم عبيد الهيستيرية أمنحك وسام الـ . . . الـ . . . (إلى الذين يجلسون على المنضدة) القوا إلى بحبل سأختنق .

العم مارابياس: (بوقار) بأكبر بالون للأمل .

لــــولـــــو : (يذهب باتجاه المنضدة) خراطيش كثيرة ، أوسعوا الحلقة .

(تظهر ماريا فى ممر الطابق الثانى) .

مـــــاريــــــا : ريكاردو ، لاتشرب ، لاتسكر منى مرة أخرى .

ريـــكــــاردو : لاتنزعجى ، لم يبق لى غير صدغ واحد .

مـــاريــــا: فى خلال لحظات يمكنك أن تأتى لتأكل.

ســيــبــاس: لتأكل؟ (ناظرا إلى الساعة) لكن الساعة..!
(ينهض) سأخرج جريا، لقد وعدت العجوز.

لـــولـــو: جاء وقتك؟ انتظر قليلا، وسأذهب معك.

ســيــبــاس: ولا كلمة، يالولو، لقد..

لـــولـــو: حسنا، حسنا، سأذهب معك (مناديا باتجاه البار) يا سيد باكو، أرنى الحساب! إلى العم مارابياس) بكم البالونات الأربع؟ واعطنى بالونى. هيا (يأخذه ويعلقه).

ســيــبــاس: (إلى لولو) لو دفعت ثمن البالونات، أنا أدفع المشروب (إلى صاحب البار الذى يخرج من البار) اقبض يا سيد باكو.

العم مارابياس: (إلى لولو) من أجلك أربع شقراوات.
(يأخذ شلنا ويعيد إليه بيزته).

ريــكـــاردو: هل رائحتى كريهة؟

ســيــبــاس: اسمع، لا، لابد أن أذهب، أتعرف أنى مسافر بعد غد. (يحفظ باقى الحساب الذى أعاده إليه السيد باكو)

ريــكـــاردو: (يجلس) هواء! هواء!

ســيــبــاس: مازال هناك وقت لنلتقى ياثرثار.

لـــولـــو: (منضما إلى سيباس) إلى اللقاء يا أصدقاء.

ســيــبــاس: مع السلام يا خوان.

لـــويـس: (يشرب ما تبقى فى كوبه) سأذهب معكما.

ريــكـــاردو: لاشيء. ياللشتات.

لـــولـــو: (يقترب من ريكاردو مازحا) إلى اللقاء ريكاردينو. زجاجة مغلقة يا حياتى (يحتضنه من الخلف ويخرج جريا قبل أن يحدث رد فعل ريكاردو الذى أمسك بمقعده مهددا: سيباس، لويس يضحكان ويتقربان من لولو ويختفون جميعا فى الخلفية. تهتز البالونات على رؤوسهم، صاحب البار يرفع الأكواب الزائدة، وبينما يقوم بهذا لا يكف ريكاردو والعم مارابياس وخوان عن الحوار).

العم مارابياس: (إلى ريكاردو) ما الذى أصابك؟ أما زلت تواصل شهر العسل؟

خـــــوان: (إلى ريكاردو) كيف تمضى أحوالك؟

ريــكـــاردو: بلا إصلاح. المعلم ألقى بمفاتيح الورشة إلى الشارع ربما مر أحدهم والتقطها، إنه الخراب يا خوان.

خـــــوان: (يحز على أسنانه) ملعونون..!

ريكاردو: إننى أتألم من أجل ماريا، إنها مطلوقة وليس هناك قديس يتحملها. ليلة أمس، عندما أدركها الجنون، كان جسدها يرتعش، كأنها تصدم بجلسات كهربائية، وهذا يحدث لى أحيانا. لاشىء. أعصابنا مدمرة. هكذا تفهم مسلسل الأحداث...

(يقطع حديثه العم مارابياس) انظر إلى هذا الأندلسى لقد نام كطفل.

(مد ذراعه كأنما يوقظه، خوان يمنعه)

خوان: دعه، لاتوقظه. إنه يسهر الليالى، يسهر هناك تحت، يحرس بعض الأعمال إلى جانب «المانثانارس»(٤).

ريكاردو: هذا رجل غريب؟ أليس كذلك؟

خوان: كلنا لنا أطوار غريبة هنا. لقد عاش حياة طيبة، زوجة، أبناء. هل تذكر باكورو، صاحب الـ ب.ث.؟

ريكاردو: الذى مات فى الجبل؟

خوان: هو نفسه. كان ابن هذا الرجل وله ابنة أيضا «بيلى»، تزوجت من خوسيه الكتائبى. إنهم يعيشون فى أمريكا. وزوجته كسيحة لا أعرف ماذا

فى عمودها الفقرى، وهو لايستطيع أن يكسب ثمن الدواء.

(فى العمق تظهر لولا زوجة خوان تأتى ومعها لفيفة صغيرة).

لولا: خوان، يمكننا أن نأكل عندما تريد.

خوان: (ينهض) الآن.

لولا: (إلى ريكاردو) لكن، ياولدى. ماذا حدث لك؟

ريكاردو: علامة الإعزاز، يالوليا.

لولا: مسكينة ماريا. ماذا فعلت لها؟ أليس لديكم زيادة؟ استمر هكذا يا ملعون، استمر هكذا، وسترى فى أى حال ستكون عندما تهرب منك! (إلى خوان) هيا، هيا إلى الداخل. (مرة أخرى لريكاردو) وأنت، ماذا؟ إلى هناك إلى أن يمتلىء جلدك بالقروح.

ريكاردو: وأنت بالبندقية محشوة. كما هى دائما. (يرفع البالون عن زرار الصدار ويعطيها لها) خذى. هدية لأغسطينيو. أنا ذاهب أيضا يا غراب البين. (يقف).

لولا: (مشيرة إلى العم مارابياس) وهذا، لم يضيع

عادته، ينام بأحلامه على كتفيه (مواصلة لخوان الذى دخل الكوخ) حياة كلبة.

(يبقى العم مارابياس نائما تماما ومعه ربطة البالونات على المنضدة، ريكاردو يدخل البيت).

لـــــــولا: (تدخل الكوخ) أنا عدت يا أمى. (إلى لوليتا) أين أغسطينيو؟ هيا ابحثى عنه. (تخرج لوليتا وتذهب باتجاه عمق الشارع. تثبت لولا طرف الحبل المربوط به البالون بأحد الأكواب الموضوعة على المائدة بشكل يظل به البالون طائرا فى الهواء) جئت متعبة (تحل اللفيفة وتريها قميصا أبيض بدون ياقة وتنقصه قطعة من الجزء الخلفى الأسفل) هذا البؤس بأربع عشرة بيزته!

لـولـيـتـا: (تختفى فى يسار العمق) أغسطينيو!

الجـــــــدة: ياله من زمن!

لـــــــولا: (إلى خوان) هيا، تعال هنا. سأجربه عليك (خوان يخلع قميصه الملون ويلبس القميص الذى اشترته لولا ليجربه) أنا فكرت فى الياقة التى عندك يا أماه (وتشير إلى الجزء الناقص فى خلفية القميص) يمكن أن نكمله بأى خرقة لأنه لن يرى (الجدة تأتى

بالياقة المنشاة، تأخذ لولا الياقة) اجلس (خوان يجلس) كن هادئا.

(يبدأ سماع موسيقى «الباسودوبلى» تسكن حركة خوان محاولا الوقوف وقفه متصلبة، لولا تعلق له الياقة المنشأة، وتبتعد عنه مع الجدة ليتأملانه حينئذ يفلت البالون، ويطير ببطء. الثلاثة ينظرون نحوه، وهو يختفى فى الفضاء بينما يسقط خوان).

ستار

هوامش الفصل الأول

(١) البويبلو : صحيفة أسبانية والكلمة معناها «الشعب» .
(٢) ماركة سيارة ألمانية صغيرة .
(٣) ماركة نبيذ أسبانى (وهى تقصد أن تعطيه زجاجة نبيذ كاملة) .
(٤) المانثانارس : اسم النهر الذى يقع بالقرب من مدريد عاصمة اسبانيا .

الفصل الثانى

نفس الديكور ، وعندما يرفع الستار يكون الوقت ليلا . .

(فى المشهد ، لولا وحدها تصلح وتكوى قميص خوان ، المكواه من الحديد من نوع المكواة التى تسخن على النار ، ويرى موقد ، الكوخ مضاء بلمبة كهربائية واحدة ، ويبدو الشارع مظلما فى انتظار إضاءة لمباته المعلقة فى الحوائط ، تسمع أصوات من خارج المشهد) .

لــــــــويس: اقذفها يا لولو . . فى المنتصف !

(يدخل لولو إلى المشهد من يسار الخلفية . يجرى

خلف كرة من الورق ويضربها بقدمه فيلقى بها إلى المكان الذى دخل منه صائحا) .

لـــولـــو: أتذهب هناك؟! ضعها فى الملعب. (صمت) هيا اقذف. (إلى لويس الذى يدخل بحركات رياضية من ذات المكان) جول، يا رجل (يحتضنه ويتقدمان نحو المنتصف) كان يجب أن تبدو كجميلات السينما : تؤمن على ساقيك. تلك اليمنى لاتفوقها ساق «دى»(١).

لـــــويس: لاتهزل يالولو.

لـــولـــو: هل ذهبت إلى «البرنابيو»(٢) يوم الأحد؟ يا ولد : «دى» و«خنتو» سجلا هدفا مشتركا.. المباراة تكاد تنتهى والنتيجة صفر. فجأة خنتو يلقى نظرة إلى المقصورة فيشاهد «دون سانتى» يشير إليه بمنديل أبيض. هكذا. اسمع.

(يخرج منديلا أبيض غير نظيف، ويقلد الإشارة).

لـــــويس: أتقول بأنه منديل أبيض؟

لـــولـــو: هل تريد أن تسمعنى أم أنهى المباراة، كما قلت لك! إشارة صغيرة من «دون سانتى» و«خنتو» الملعون، تشبث بالكرة، وأخذ الفسبا، واخترق

الفريق الأخضر، مر من خمسة أو ستة من الفريق الضحية، اقترب من الثلاث خشبات، وأخرج الصينية الفضية ليقدم عليها لعبة مكتملة إلى «دى». وتخيل ما حدث بعد ذلك، أليس كذلك؟

لـــــويس: مدهش يا ولد!

لـــولـــو: فى هذه الأثناء، حارس المرمى، كالبقرة السويسرية، اختلطت عليه الألوان.

لـــــويس: «دى» هذا رجل «دى»، أنا أرشحه لعضوية البرلمان.

(ريكاردو يخرج من البار ويبدو أنه قد شرب كثيرا).

لـــولـــو: (يقصد ريكاردو) اسمع، ألا تفوح منك رائحة السمك؟

لـــــويس: سمك من النوع الغالى، وأنت.

(ضحكات)

لـــولـــو: (يضرب ريكاردو بالكف) غطى نفسك، حتى لا يتساقط النبيذ!! (يدخل البار).

لـــــويس: (يدخل البار أيضا) ياله من مغفل!

(ماريا تخرج إلى الممر)

مـــاريـــا: (إلى ريكاردو) لكن، مرة أخرى هكذا؟ اصعد،

اصعد الآن حالا، (ريكاردو يدخل من جديد إلى البار، ماريا تدخل بيتها) صاعقة تمزقك.

(من عمق الشارع يظهر ناتشو ولوليتا، متلاحمان بالأيدى.. وهو يشرح لها).

ناتشو: أقول لك كان ملقى يا لوليتا! لكن ألا تفهمين أن زوج عمتى مدرس بالمعهد العمالى؟ سأتخصص فى إصلاح الإطارات وأخرج من أوسع الأبواب. (يقترب منها) خلال ستة أشهر سأرسل لك من ألمانيا قطارا خاصا ليأخذك، وهناك نتزوج.

لوليتا: هل يوجد قسس فى ألمانيا؟

ناتشو: ربما يوجد بعضهم يا حلوة، أنا أحلم أن تعطينى الـ«خا»؟

لوليتا: الـ«خا».

ناتشو: الـ«نعم» يا عبيطة. «خا» تعنى «نعم» بالألمانى. (بوقار) لوليتا مارتينيث هل ترغبين فى ناتشو فرنانديث رفيقا مدى الحياة؟

لوليتا: (بوقار أيضا) «خا»!

(الاثنان يبدآن فى الضحك)

ناتشو: بمرتب الشهور الأربعة الأولى التى أرسلها لك

تذهبين إلى «جاليرياس برثيادوس»[٣] وتتبضعين، عندما تظهرين هناك يجب أن تخطفى أبصار الألمان، حتى يسقط لعابهم فى أكواب البيرة، لن تكون هناك أى واحدة يمكن أن تقارن نفسها بالسيدة زوجة أخصائى الإطارات!.

(يضحكان)

لوليتا: وموضوع المعهد هذا؟ هل تعتقد أنك تستطيع الحصول عليه؟ هل تفهم فى الحساب؟ الجمع والطرح وكل ذلك؟

ناتشو: (يمسكها من أنفها) أعرف السيطرة على أصابعى يا حلوة.

لوليتا: اسمع، فى سينما «البران» يعرضون فيلما ألمانيا. أريدك أن تأخذنى (حالمة) نشاهد البيوت، أريد واحدا فى واد شديد الخضرة، وإلى جانبه نهر صاف. وتبدو الأحجار البيضاء فى أعماقه. (واهمة) جميل أن نعيش حياة طيبة.

ناتشو: وأنت تتحدثين عن هذه الأشياء يرتفع أنفك، ويشوقنى إلى تقبيلك.

(يحاول تقبيلها).

لـولـيـتـا: (متدافعة) أمى ستخرج يا ناتشو.

نـاتـشـو: أنا ذاهب إلى ألمانيا يا حلوة. ألا تريدين توديعى؟

لـولـيـتـا: ابق هادئا!

(من جديد يخرج ريكاردو من البار)

نـاتـشـو: (محاولا) اعطنى فمك؟

لـولـيـتـا: (مقاومة) إنهم يروننا.

نـاتـشـو: (يكتشف وجود ريكاردو، يشير إليه صائحا) هذا، إنه المائل (يقترب منه ويصفعه على قفاه) سكرة فنية أيها اليهودى.

ريـكـاردو: (محاولا هزه) سأضربك علقة ساخنة. ستكونان اثنين ألا ترانى مزدوجا؟

(لوليتا تجمع الملابس المنشورة على الحبل منذ الفصل الأول، تنتهز فرصة غفلة ناتشو، وتقبله قبلة سريعة، وتدخل البيت بسرعة، يقفز ناتشو فى الهواء، ويطلق صيحة طروب «يويوى» ويخرج إلى عمق الشارع مسرعا، ريكاردو يراقبه، ويطلق نفس صيحة ناتشو، ويحاول أن يقفز لكنه يفقد توازنه، ويتطوح، ويسقط إلى داخل البار، تسمع ضحكات. وفى الكوخ).

لـولا: لقد جفت.

لـولـيـتـا: (التى تركت الملابس على السرير) جيدة للكى.

لـولا: انظرى لترى كم سردينة هناك. من أين أتيت؟

لـولـيـتـا: (تفتح صوانا صغيرا، وتخرج منه طبقا به سردين، مملح كنت مع روسيتا، اثنتا عشرة سردينة ياماما.

(تترك الطبق مكانه وتغلق الصوان)

لـولا: لا أحب أن تخرجى مع ناتشو، ماتزالين صغيرة لاتصلحين للخطوبة.

لـولـيـتـا: لكن يا أمى، إن لم...

لـولا: أنا قلت ذلك.. هيا (تلقى إليها ببعض الجوارب) أصلحى جوارب أبيك.

(تنهى كى القميص، وتضعه على المقعد، وتبدأ فى كى البنطلون).

لـولـيـتـا: (تجلس وفى يدها صندوق أدوات الحياكة، تعد الإبرة، وتبدأ فى خياطة الجوارب) ناتشو يريد أن يذهب إلى ألمانيا ليعمل ويكسب نقودا كثيرة.

لـولا: جميعا نريد أن نذهب إلى أى مكان. جميعا عدا الغبى أبوك، لا أعرف ماذا ينتظر. «خوان لابد من اتخاذ قرار ما. لانستطيع أن نواصل هكذا» «الصبر

يا لولا، الصبر» كما هو دائما : الصبر، الصبر.

(تذهب إلى الموقد وتغير المكواة وتعود).

لـولـيـتـا: هل تحدثت مع السيدة بالبينا؟

لـــولا: ما معنى ذلك؟

لـولـيـتـا: سألت عنك. ونسيت أن أقول لك.

لـــولا: (بعد فترة صمت قصيرة) لا مع ناتشو ولا مع أى جائع من أبناء الحى. أتسمعين؟

لـولـيـتـا: (بخجل) ناتشو طيب.

لـــولا: وأبوك.. ماذا؟ كالغول! كلهم كما تريدين: طيبون، كرماء، مجتهدون. وماذا بعد؟ انظرى يا ابنتى، عندما تزوجت بأبيك، جئنا لنعيش مؤقتا فى هذا الكوخ، فيه ولدت أنت وأغسطينيو. ومازلنا نتحمل. كل ذلك كان «مؤقتا». هل تعرفين معنى أن تشاهدى رجلا يبكى؟ أنا شاهدت أباك يبكى. دموع تملأ الكفين يا ابنيتى! وحده عندما كان يظن أن أحدا لايراه. لكن سرعان ما تعود إليه الشجاعة. لأن ذلك كان «مؤقتا» نقط الأمطار وأيام الشتاء بلا فحم. والترقيعات. والصمت عندما تسمع طرقات محصل النور، أو محصل الأقساط، أو الديون، كل ذلك، كان «مؤقتا» حتى أمراضكم، أنت كنت على وشك الموت. ونحن وصلنا لمثل حالتك. أنا لم أعد احتمل، لم أعد احتمل المعاناة. لم أعد احتمل الحب، ولا الحياة «مؤقتا» (صمت) فى الثالث من أغسطس عام ١٩٤٤ تزوجت بأبيك ونحن الآن فى سبتمبر ٦٠، مرت ستة عشر عاما. هذا كثير. أحلى أيام العمر، أحلى أيام الشباب ضاعت، لا، لا تخرجى مع ناتشو.

لـولـيـتـا: ما ذنب أبى أو ناتشو؟

لـــولا: لا أحد يقول ذلك.. ليس هذا يا ابنتى. أليس هذا هو الفشل؟ أن تشاهدى الرجل الذى تحبينه.. (تشير إلى القميص) انظرى إلى هذا القميص، تأمليه، إنه تاريخ بيتك.

(لولو ولويس يخرجان من البار)

لـــولـــو: (شارحا) ايزيبيو صاحب محل الأسماك، أتعرف كم؟ اثنتا عشرة! لم يحصل على شىء. طبعا، لكن.. تصور لو ورقة أخرى بأربعة عشر؟ لا ألمانيا ولا أى مكان آخر. نظل فى «مادريلز» لمدى الحياة.. (يسيران باتجاه الخلفية) أكبر ما حصلت عليه

تسعة .

لــــــويس: أنا إحدى عشرة .

لــــولــــو: من ؟ أنت ؟

لــــــويس: كما سمعت ، إحدى عشرة .

لــــولــــو: اسمع (يتوقفان) نشترك معا ؟

لــــــويس: زوجتى حصلت على عشرة .

لــــولــــو: وأنت هل تفكر فى الذهاب ؟ ابق هنا أيها النزق ! حظك فى المراهنات إحدى عشرة وعشرة . هل تفهم هذا ؟

لــــــويس: هذا شيء عادى يا رجل .

لــــولــــو: العادى ! لن تقول لى إن كل البلد على وشك أن تفوز بالمراهنة ؟

لــــــويس: نعيش بهذا الأمل .

لــــولــــو: إذن أنا تعس بذلك : إحداهما تسعة : (يتجه نحو يسار الخلفية حيث يخرجان) طبعًا أنا أعرف أحدهم يكاد يموت منه الأمل لأنه لم يزد عن ثلاثة !

لــــــولا: نحن خسرنا أشياء كثيرة ، انظرى ياصغيرتى . (تترك الكى) أبوك لن يحصل على شيء . والوقت سيء . أما عن القميص فهى آخر محاولة لنا . وأيضا

ستفشل . لم يعد هناك إلا الذهاب إلى محطة الشمال(٤) أو إلى محطة أتوتشا(٥) ليفهم كيف أن الذين يذهبون لم يرتدوا أحسن ملابسهم ، أحسن قمصانهم قبل أن يقرروا ؟ كم زيارة من أجل لا شيء ؟ لاتعرفين كيف كان ذلك وبأى ألم ، يا ابنتى لا أريد أن يحدث نفس الشيء لأبيك ! ولو فى يوم ما سيقرر السفر قبل كل شيء يقرر مع نفسه من . . لكنه لن يذهب ، أبوك تشده الأرض ، سأذهب أنا ، ستة أشهر ، سنة ، إلى أن ينسى أحلامه ويعود إلى عمل ثابت ، أنت ستسهرين عليه ، وعلى أغسطينيو أيضا ، (تستأنف الكى بعد أن تغير المكواة بالأخرى الموجودة على النار) الجدة ستساعدك (صمت) ألا تحبين الذهاب إلى مدرسة لتتعلمى التفصيل ؟

لــوليــتــا: لو ذهب ناتشو يا أمى ، أنا . . .

لــــــولا: أنت عبيطة (أنهت كى البنطلون ووضعته إلى جانب القميص ، تلتقط السراويل الداخلية وتواصل الكى ، لوليتا تنهى خياطة الجورب وتلقى به على السرير وتواصل خياطة الجورب الآخر ، الحوار لم

ينته بعد) عندما يجد بعض النقود فى جيبه سينسى كل شىء عنك، وسينظر إلى ابنة الحلاق، أو أى فتاة أخرى مثل «ميرتشى» صاحبة محل الحدادة، وأيضا هو مازال صغيرا، مازال لديه الوقت للعب مع أكثر من فتاة مثلك ثم ينساك.

لوليتا: (متألمة) ماما..

لولا: (تقاطعها بعنف) ماذا؟ أنت مازلت صغيرة، أنا لا أريد أن تخرجى لامعه ولا مع أى إنسان آخر. (صمت) ستتعلمين التفصيل والحياكة، وحين تشعرين بنفسك حينئذ.. لا أريد ضحايا أكثر من ذلك فى عائلتى! يجب أن نطمح يا ابنتى، فى بيت بنوافذ واسعة، حيث الشمس والهواء يلتقيان بحب، حيث تجرى المياه، حيث يجد كل واحد سريره، ليعيد مع نفسه أحداث اليوم الذى عاشه، ومائدة، ومقعدين أو ثلاثة للطعام، ليس بيتا كالسجن يموت فيه العقل. مكان يا صغيرتى، (صمت) أمس عندما كنا نغسل فى بيت السيد سانشيت، هل انتبهت؟ كل ما قلته وأكثر، يوجد هناك. وحجرة الأطفال؟ نعم يا ابنتى. كل شىء

موجود، والسيد سانشيت ليس متفوقا. كان شخصا نكره (السيدة بالبينا تخرج من باب بالبيت ذى الممرات، وتتقدم نحو الكوخ). سيكون لديك مشغل. وستبدئين بواحدة أو اثنين للتعليم، وبين كل هذا سنحاول مع أغسطينيو أن..

(تدخل السيدة بالبينا)

بالبينا: لولا، هل أنت على استعداد؟

لولا: هل كتبت؟

(تترك المكواة)

بالبينا: بالنسبة لماريا. عملت فى بار، فى المطبخ (تضحك) وعندما شاهدت المخزن بدأت فى البكاء. المسكينة التعسة! حسنا، (تجلس) هل تحدثت مع خوان؟ (تقطع الحديث وتشير نحو لوليتا) اسمعى، وهذه الفتاة؟

لولا: لاتنزعجى هى تعرف كل شىء.

بالبينا: ماذا قال لك خوان؟

لولا: إلى الآن لايعرف شيئا. لم يحن الوقت للحديث معه. لكن بالنسبة لى لن يوقفنى أى إنسان. ولو شنقونى.

بالبينا: يجب أن تعدى جواز السفر. كل ذلك بتذكرة السفر سيلكفك مايقرب من ألف وخمسمائة، كم يتوفر لديك؟

لولا: (تضحك قليلا بعصبية) لا، ليس لدى شيء (بدهشة) أمي والجورب الأصفر. تحويشة العمر لمواجهة نفقات لحظة الموت.. (تعود إلى الضحك ثم فترة صمت قصيرة) سأتحدث معها على أى حال، لا اعتقد أن لديها الكثير. سأبيع الدولاب، لا أدرى. لو أستطيع السفر كالطرود، والتخليص عند الاستلام!.

(تضحك من جديد، بعصبية)

بالبينا: لاتضحكى هكذا يا امرأة. سنرى تدبير كل شيء تذهبين إلى بيت أسبانى متزوج بامرأة من هناك.

لولا: (بإشارة انزعاج) أسبانى؟

بالبينا: اسبانى يعيش هناك من سنوات طويلة، لا تنزعجى. فقد تكيف بهوائهم، ستجدين مزية كبيرة فى الحديث بلغة البيت.

لولا: أنا مخدوعة جدا، أفضل الخدمة فى مكان أكثر تعودا على.. لا أدرى أكثر تعودا على الإنفاق..

أكثر تقديرا لمن يعملون..

(تنهى كل السروال وتضعه فى الدولاب، تلقى بالمكواة على المائدة، بعد ذلك تلتقط القميص، وتضعه فى الدولاب، تأخذ مشجبا وتعلق عليه البنطلون وتضعه فى الدولاب، وأيضا بطانية الكى.. إلخ.. ويعود كل شيء إلى مكانه، وطوال هذا النشاط لاينقطع الحوار).

بالبينا: لكن يا امرأة، اذهبى إلى هناك، وإن لم يوافقك، يمكنك العودة، فى تلك البلاد، الفتيات الاسبانيات مطلوبات جدا (تدخل الجدة من الناحية اليسرى) يعلنون عنا يالولا، كمصارعى الثيران!

الجدة: (تدخل) أهلا، بالبينا.

بالبينا: أهلا يا جدة (ضاحكة) ماذا عن موعد اللقاء.

الجدة: (إلى لوليتا) اتركى لى المكان يا صغيرتى. (لوليتا تجلس عن مقعد آخر، وتبدو الجدة متعبة وتجلس فى المقعد الذى تركته لها، تقول لبالبينا) هل أنا صاحبة مواعيد؟ آخر من نظروا إلى أصبح الآن كهلا (تقرصها فى ساقها) أنت مازالت لديك أرداف ممتلئة.

بالبينا: (مشيرة إلى لوليتا) جدة، الصغيرة.
(لهجة الحوار ساخرة)

الجدة: لم أقل شيئا من العالم الآخر، وأيضا، هذه تعرف الآن أكثر منك ومنى، لقد أفسدتهم السينما.

لولا: يا سيدة بالبينا. اشرحى هذا لأمى..

الجدة: (مقاطعة) هل ترحلين؟ البيت والحى صغيران. الجميع هنا يعرفون الجميع.

لولا: أمى. لم أقل لك ذلك من قبل لأنه..

الجدة: نعم، حتى لاتطيلين أحزانى. أنا عجوز جدا، اذهبى يا ابنتى، اذهبى. لا اعرف لماذا لم تقررى ذلك من قبل؟

بالبينا: (بمكر) وأنا كنت أظن أن الرحلة باهظة الثمن، هل تعرفين كم تكلف ياجدة؟ ألف وخمسمائة لا أكثر. المدهش أن هذا الرقم يتضمن تكاليف جواز السفر. وحتى يمكن تناول بعض اللحم المقدد بالبيض فى عربة الطعام، لو رغبت فى ذلك. سفر طويل. إن شقيقتى، سباستيانا، رحمها الله المسكينة، كانت تضع ما توفر لها فى جورب، كثمن للصندوق الخشبى. كانت تقول ذلك، وجاءت الحرب

وأخذتها طلقة، وألقت بها فى نهاية العالم. هل تدرين ما حدث للجورب يا جدة؟ لو أن حضرتك تعرفين ولا أنا أيضا أعرف عنه شيئا، هيا إنه زمن العجب، فضلا عما يحدث الآن فى زمن القنبلة الذرية، والهيدروجينية، وغيرها، لا جنازة، ولاقبر، ولا حتى صندوق خشبى. سنطير كالتراب فى الأثير، إذا لماذا نوفر؟ هيا (تقف) حسنا، إلى اللقاء، احترسى يا صغيرة، لا تخيطى الجورب من حيث يوضع القدم. (تضع يدها على كتف الجدة) لن نكون فى حاجة إليه؟ أليس كذلك؟ (تشير إلى لولا بأن تلح فى الطلب ثم تذهب قائلة) فى الخارج ستصبحين غنية يا لولا! ياله من حظ سعيد ياجدة، لاتزال لك ابنة شابة.
(تكرر الإشارة إلى لولا، وتذهب إلى الشارع الأمامى إلى أن تدخل بيتها).

الجدة: (تفتح فتحة الصدر وتخرج الجورب الأصفر بهدوء، وتلقى بمحتوياته على المائدة. لولا ولوليتا تتأملانها فى صمت، ثم تتأملن كومة النقود الورقية ذات الفئات الصغيرة، وبعض القطع الفضية فى النهاية

تقول الجدة) ألف وثلاثمائة وأربعة عشر، وريالان..

لولا: (متأثرة جدا) شكرا يا أمي، شكرا يا أمي.

(يسمع صوت ريكاردو من داخل البار)

صوت ريكاردو: (يبدو عليه السكر ويغني)

من الراهب إلى الحسناء
إلى ألمانيا يا شباب، سأذهب
وفي الحي أترك كل الجوع
وأنعم بالغاز والرخاء

(وعندما يصل إلى إعادة الشطر الأول من الأغنية في المنزل ذي الممرات، يضاء مسكن ماريا، وتخرج إلى الممر، وتجس الجاكت والبنطلون المعلقين على حبل الغسيل، وترفعهما عن الحبل، وبيما تحملهما في يديها تنظر باتجاه البار، وعندما تنتهي الأغنية تنادي ماريا).

ماريا: في يوم ما سأبقى بدون شيء يضيع من يدي. لكن، ماذا فعلت أنا؟ ماذا فعلت أنا؟ (في الجملة الأخيرة تدخل ماري غرفتها، وفي الكوخ تظل الجدة ساكنة وتأخذ لولا النقود وتعيدها إلى الجورب، تنهي

لوليتا خياطة الجورب الثاني، وتلتقط الآخر من على السرير، وتضعهما في الدولاب).

لولا: كم سردينة قلت؟

لوليتا: اثنتي عشرة.

لولا: (مفكرة) اثنتا عشرة.. اخرجي وابحثي عن أغسطينيو، وانظري إن كان أبوك في البار. قولي له هيا للعشاء.

لوليتا: (تخرج وتذهب نحو العمق وتنادي) أغسطينيو هيا للعشاء! أغسطينيو (يخرج السيد باكو على الصوت، إلى باب البار، وتتجه إليه لوليتا) هل أبي هناك؟

السيد باكو: لا ياحلوة.

لوليتا: أين ذهب؟

السيد باكو: هل تريدين أن نذهب معا للبحث عنه؟ ربما كان في بار الأشقر، ولاينبغي أن تذهبي وحدك في هذا الخلاء.

لوليتا: أعرف المشي وحدي يا سيد باكو.

السيد باكو: اسمعي يا جميلة. (يقترب منها) أبوك يائس. ألم تنتبهي لذلك؟ المتعطل لا يأكل. أنت يمكنك مساعدته.

لـولـيـتـا: (تبتعد قليلا) كيف يا سيد باكو؟

السيد باكو: (يقترب من جديد ويضع يده على كتفها) لا تنزعجي يا صغيرتي. اسمعيني.

لـولـيـتـا: (تنزع يده عنها) لاتلمسني!

السيد باكو: لكن، يا يا ابنتي، ما السيء في ذلك؟ أنا في عمر جدك، هيا أنا في حاجة إلى فتاة لتساعد زوجتي. ألا تريدين أن تربحي عشرين شلنا في الشهر؟ وإفطار وغداء وعشاء. ولو أردت شاي ما بعد الظهر أيضا. حتى السرير يا جميلتي. وغرفة خاصة بك. مائة بيزيتة في الشهر. فكري في ذلك! وشلن زيادة من وقت لأخر لتذهبي إلى السينما. ماذا تقولين؟

لـولـيـتـا: سأقول ذلك لأبي!

السيد باكو: أمك خادمة يا صغيرة. لن يفتقدك أحد. وقولي لأبيك ما تريدين، كل ما حدث هنا هو أنني عرضت عليك عملا.

(تذهب لوليتا إلى الخلفية وتنادي باتجاه الناحية اليسرى).

لـولـيـتـا: أغسطينيو (تختفي) العشاء.

السيد باكو: مازال لديهم ما يكفي للعشاء.

(يدخل البار)

لـولـيـتـا: هيا (تظهر من جديد، وترى الأب يدخل من الناحية اليمنى وتقول له بصوت أكثر انخفاضا) أبي، العشاء جاهز.

خـوان: (يتقدم نحو الكوخ) حسنا.

لـولـيـتـا: أبي.

خـوان: ماذا تريدين؟

لـولـيـتـا: (تنظر نحو البار) أتعرف أن...؟

خـوان: ماذا؟

لـولـيـتـا: إذن.. لا شيء يا أبي، حماقة.

(يدخلان الكوخ)

أغسطينيو: (يظهر جريا من الخلفية، ويدخل الكوخ) أناهنا (المائدة معدة للعشاء وعندما يرى أغسطينيو السردين وقطع الطماطم في الأطباق يفرك يديه بتهكم) ياه، دجاج مرة أخرى! اليوم نصيبي الأفخاذ (إلى شقيقته) لوليتا، أبادلك بالصدر! هل توافقين؟

(يجلس)

لـولـيـتـا: (تجلس بدورها) لا، ستصاب بالتخمة.

أغسطينيو: (بمكر) فى يوم ما سنأكل سردينا فى العشاء كالفقراء.

خوان: (يجلس) اصمت.

أغسطينيو: كم لكل منا يا أمى؟

لولا: (تجلس) الرجال، ثلاث.

الجدة: كل ما تريد، أنا ليست لدى رغبة فى الطعام.

(يبدأون فى الأكل عدا الجدة، وصوت راديو من بعيد يصدر عنه عزف السلام الوطنى، ثم تدق الساعة العاشرة مساء ويسمع بعد ذلك صوت المذيع الأول).

صوت١: استمعتم سيداتى سادتى إلى دقات العاشرة من مبنى الإذاعة بمدريد.

صوت٢: النشرة الإخبارية الخامسة من راديو أسبانيا الوطنى.

صوت١: موجز النشرة: تقول المصادر أن التحسن فى احتياطى أسبانيا من الذهب والعملة الحرة أمر يدعو إلى الدهشة.

صوت٢: خرتشوف يعقد اجتماعات عاجلة فى الغرب.

صوت١: السيد «جروف جوال بيا البى» الوزير ورئيس المجموعة الاقتصادية الوطنية سيعلن عن افتتاح أعياد

الرحمة.

صوت٢: تصاعد التسلل الشيوعى إلى البيرو.

صوت١: نيويورك: انفجار قنبلتين فى مانهاتن.

(تنقطع الأصوات من الراديو، وتخرج السيدة بالبينا إلى الممر منادية ماريا).

بالبينا: (إلى أعلى) ماريا (تحدث نفسها) ياله من عالم!

ماريا: (تطل) حضرتك تنادينى يا سيدة بالبينا؟

بالبينا: نعم يا ابنتى، اعيرينى بعض الملح، هيا، قليلا لا أكثر، هل أصعد لتناوله؟

ماريا: سأرسله حالا.

بالبينا: شكرا يا ابنتى، لا أستطيع صعود السلم، اسمعى، فى أى ساعة يمر القمر الصناعى؟

ماريا: لن يتأخر، ألم تريه للآن؟ إنه يبدو كنجمة ويعبر كل سماء مدريد.

بالبينا: (بتهكم) وإلى أين يتجه؟ إلى «بيت لحم»؟.. سأجن من هؤلاء العلماء! (تدخل، وماريا تدخل أيضا. وفى الكوخ).

لولا: كلى شيئا يا أمى.

أغسطينيو: (يجهز ساندويتش من الخبز والسردين) خذى يا

جدة ساندويتش لذيذ يؤكل وحده !

خـــوان: (إلى الجدة التى ترفض الساندويتش) هل حدث لحضرتك شىء؟

لـولـيـتـا: يا جدة، لماذا..؟

خـــوان: (مقاطعا) دعيها فى سلام!

(تقف الجدة بهدوء، تتجه إلى السرير، وتحاول لولا أن تذهب إليها، لكن خوان يمسك بها).

خـــوان: دعيها، أعرف هذه الحال، قليلا من العزلة لتأكل. هذا الذى تحتاجه الآن.

لـــولا: (صمت) خوان، لو خذلك المعلم، ماذا؟.. مع احتساب سيباس، كم ذهبوا حتى الآن من الحى..؟ يخيفك الرقم، هه؟.

خـــوان: كانوا يعملون فى الورش، وفى المصانع الصغيرة.

لـــولا: وفى الكبيرة أيضا، فكر فى مصنع سيباس.

خـــوان: أفكر فى معلمى! (مغيرا اللهجة) سيسمعنى. ولن يرفض طلبى، فواجبه أن يستمتع إلى.

لـــولا: كلام، كلام، كل ما ستحصل عليه لكمة ودية، ولا تنتظر من اليد التى تعطى اللكمة أن تدرك أنها تضرب فى العظم. فى العظام العارية من اللحم.

فالأيدى السمينة يا خوان، لا إحساس لديها.

خـــوان: لماذا هذا الكلام الآن؟

لـــولا: لأننى متعبة من كل هذا! لأن أبنائى فى سن النمو. لأن.. لا أعرف لماذا؟

خـــوان: سيسمعنى يا لولا (إلى لوليتا وأغسطينيو) يجب أن يسمعنى، نعم، نعم، ورقة خدمتى نظيفة، لقد برهنت على أنى أعرف العمل، سيسمعنى، نعم أنه سيسمعنى. سأحدثه عنكم، عما أريد أن أفعله من أجلك يا أغسطينيو.

لـــولا: (مقاطعة بعنف) لاتذكر أسماء أبنائى! وضع هذا فى رأسك. تحدث عن نفسك. عن العامل خوان. عن البنّاء، ما عدا ذلك استجداء.

أغسطينيو: (صمت) هذه السردينة لك يا أبى؟

خـــوان: كُلها أنت.

أغسطينيو: (يقدم له قطعة طماطم) أبادلك بقطعة الطماطم هذه؟

(يأخذها خوان)

لـولـيـتـا: (محتجة) أى برود، قطعة الطماطم هذه لى أنا!

خـــوان: (يقدمها لها) خذيها يا ابنتى.

لـولا: (بحدة) يابنت.

لـوليـتـا: لكن يا أمي! (مشيرة إلى شقيقها) إنه يأكل كل شيء! أخذ خمس سردينات.

أغسطينيو: يا كاذبة.

لـوليـتـا: خذ يا أبي، هي لك.

خـوان: (لا يأخذها ويبعد يده إلى ابنته، ويقف) في هذا لك الحق يا لولا، لن أحدثه عن الأولاد، العمل هو العمل! ترى كيف حال القميص؟

لـوليـتـا: (واقفة) ستبدو كالعريس.

(تذهب بحثا عن القميص)

لـولا: كل شيء جاهز تماما.

لـوليـتـا: (تريه القميص) انظر إليه يا أبي.

أغسطينيو: (يقف) هل سترتدي ربطة عنق؟

لـوليـتـا: بالطبع! (إلى أبيها) يجب أن تبدو ثريا. أليس كذلك؟

(تحمل القميص إلى حيث كان قبل ذلك).

أغسطينيو: أنا سأرتدي. «الكاوبوي».

لـولا: (مندهشة) ماذا؟

أغسطينيو: «كاوبوي»؟!

لـوليـتـا: ألا تعرفون ما هو «الكاوبوي»؟ أمريكي على حصان ويحمل مسدسين وحبلا.

أغسطينيو: أو قناص. بابا (يمثل بأنه يمسك بمدفع رشاش ويواصل إطلاق الرصاص بسرعة). تاكاتكا.. تاكاتاكا.. أو..

لـولا: (مقاطعة) لكن ما هذا السخف؟ (إلى لوليتا) لا تنسي بعد ذلك أن تنظفي حذاء أبيك.

(تستعد كي تنظف الأشياء القليلة المتسخة، ولوليتا ترفع الأطباق وتنظف المائدة).

أغسطينيو: (إلى أبيه) هل تعلم: أن ناتشو سيطلب من عمه أن يلحقه بمعهد مهني. يريد أن يتعلم كثيرا أتعرف لماذا؟ ليذهب إلى ميونيخ. ميونيخ مدينة ألمانية، أعتقد أن أبناء الفقراء هناك يعيشون كأبناء الأغنياء. وأبناء الأغنياء مثل السيد «ابيفانيو».

(يجلس خوان).

لـوليـتـا: بابا، هل شاهدت «الإمبراطورة سيسي» إنه فيلم رائع، بلا متاعب. يجب أن نذهب نحن الأربعة لنعيش في ألمانيا.

أغسطينيو: في سويسرا أيضا يعيشون جيدا، وفي استراليا،

وفى تكساس يا أبى (بسرعة يضم قبضيته على المسدسات ويتحدث فى نفس الوقت) ارفعوا أيديكم. على السادة الأثرياء أن يسلموا المال.

(يضرب على كتف أبيه ويقول له بثقة) عظيم. أليس كذلك؟

خوان: (يقف مهددا) هل تريد علقة ساخنة يا مهرج؟

لولا: يريدون السفر! جميعا نريد أن نذهب لنعيش.

خوان: (بقوة وجفاء) لن يتحرك أحد من هذا البيت.

لولا: لاتشدنى من لسانى وإلا قلبت عليك الدنيا. هه.

خوان: أى مليم، مليم واحد فقط أحصل عليه، أحضره إلى بيتى، وليس هناك مهرب لأحد! أرجو أن يكون ذلك واضحا!.

لولا: فشار.

خوان: ماذا تقولين؟

لولا: (تواجه خوان) ما سمعته. ولن أسمح لك أن تقدم أبنائى شهداء!

خوان: ولدوا هنا يالولا. وجوعهم من هنا. وهنا حيث يجب أن يجاهدوا ليشبعوا. ولايجب أن نسمح لجوعك، لجوعنا أن يحولنا لأناس بلا قيمة.

لولا: كلام من كلامك الفارغ.

خوان: نعم، لا كلام آخر لى، لكنى سأكمل التاسعة والثلاثين، فما بالك بمن يحمل الجوع فى داخله!

(صمت)

لولا: أنا أعمل مثلك أو أكثر.

خوان: أعرف.

لولا: هذا يعطينى حقا. وهذا أيضا تعرفه؟

خوان: أيضا أعرفه.

لولا: إذن استمع إلى. غدا ترتدى قميصك وتذهب لمقابلة المعلم. ولو فشل ذلك..

خوان: ولو فشل ذلك.. ماذا؟

لولا: سأواصل الغسيل. المسح، التنظيف أو أى شىء آخر، لكن هنا لا.

خوان: (بغرابة وتأكيد) لن يخذلنى المعلم!

(من يمين الخلفية يدخل العم مارابياس وبيده ربطة بالونات)

العم مارابياس: (مناديا) من أجل الأولاد، من أجل البنات، من أجل الكبار الفلاسفة. بالونات، بالونات ملونة.

(من نبرات صوته يبدو فى حالة سكر، ومن بعيد

تسمع أصوات تغنى)

أصـــــوات : أنا لن أذهب من أجل الفتيات .
فالفتيات جميلات .
هن جميلات .
(تسمع هذه الأغنية فى الخلفية ويخرج ريكاردو من البار وهو سكران) .

ريـــكـــاردو : (إلى العم مارابياس) اسمع يا عم مارابياس . اعطنى بالونتين لماريا . هيا . تكونان بألوان كثيرة . لا أريدها أن تعكرنى مرة أخرى . هيا . كن طيبا .
(يدخل من الخلفية لولو ولويس وسيباس وهم يغنون) .
أنا ذاهب لأنه لم تبق فى الحق أى باروكة .

لـــولـــو : (إلى العم مارابياس) لكن . إلى هذه الساعة ولم تغلق المحل بعد ؟

العم مارابياس: ينقصه التشحيم .

لــــــولا : ابصق عليه ، قد يفهم .

ســيــبــاس : (يدفعهم باتجاه البار ، حيث يدخلون) الجميع إلى الداخل ، هيا نودع (إلى لولو الذى يتجه إلى البار) لولو ، هل خوان هناك ؟

لـــولـــو : ليس هنا .
(يدخلون جميعا إلى البار ، عدا سيباس الذى يتجه إلى الكوخ مغنيا) .

ســيــبــاس : أنا ذاهب لأنه لم تبق فى الحى أى باروكة .
(يدخل إلى الكوخ) مساء الخير هيا يا خوانيو . تعال لتملأ كأسا وادع لى بسفر طيب .

لــــــولا : أى حظ حظك .

ســيــبــاس : فى متناول يد أى تعيس يا لولا (إلى الجدة) حضرتك مريضة ياجدة ؟

الجـــــدة : (من السرير) أنا لا أجد نفسى .

ســيــبــاس : هل نظرت حضرتك تحت السرير ؟ (إلى خوان) هيا . خوان . (يقف خوان) .

لــــــولا : (إلى سيباس) لنرَ كيف تشجعه ، وتبعد عن رأسه تلك البطولة .

ســيــبــاس : لاتقلقى ، سأختطفه بأول خطاب أكتبه إليه ياجدة . تأخذين كأسا فى صحتى ، به ستجدين نفسك ، وآخر من أجلك يا لولا ، ليأت الصبى ، ليحضرهما لكما .

لــــــولا : (إلى سيباس ، مشيرة إلى خوان) من الأفضل أن

يشربهما هذا الذى لم يبتسم منذ قرون.

سيباس: (بمكر) هذا سأعطيه جرعة بيرة لكى يعتادها.

خوان: (ساخطا) اعطونى حليبا، لاتضايقونى أكثر من ذلك! (يخرج)

سيباس: أغسطينيو. هات الصينية، سأملؤها لك (يهرج أغسطينيو خلف سيباس، ويتجه نحو البار حيث يدخل. ويقول سيباس لخوان) لاتتجاوز حدودك يارجل.

خوان: (يواجه سيباس) أتريد أن تضع فى رأسك أن أكثركم يا سادة مسافرون، لاهاربون؟ إنه الخوف! والذى لا أحتمله منكم إنكم ترحلون وأنتم تلعنون الأرض التى أنجبتكم. ماذنب الأرض؟ ياجبناء.

(بعد كلمات خوان، تأتى من البار أصوات تشجيع، يدخل سيباس البار على الفور بينما يدخل خوان ببطء).

سيباس: نبيذ للجميع.

الجدة: يا صغيرتى. أعدى السرير، (إلى لولا) خوان صعب يا ابنتى.

لولا: (بعد أن انتهيت من غسل الصينية تأخذ الصينية وتخرج إلى الفضاء، وتلقى بالماء وتدخل) قليلون من يسافرون طائعين. (تجهز لوليتا المائدة لتكون سريرا حيث إنها مصنوعة لذلك. وترفع الألواح وتخرج المرتبة من داخلها، وكذلك المفارش والبطانية. يخرج أغسطينيو من البار ممسكا بكأسين، وعندما يصل إلى منتصف الطريق يقف وينظر يمينا ويسارا، ويشرب قليلا من كل كأس ثم يلعق شفتيه).

أغسطينيو: إنه من المختوم(٦). (يدخل الكوخ) دعوتى آخذ رشفة.

الجدة: (التى تقوم من السرير وتأخذ الكأسين من أغسطينيو) هاتهما هنا.

ياملعون. هل تسخر منى. هيا. إنهما ناقصان.

(تشرب كأسا فى جرعة واحدة)

أغسطينيو: (إلى لوليتا) هل رأيت؟ الجدة تشرب مثل «ريتشارد فيدمار» يالها من امرأة.

لولا: (تأخذ الكأس الذى قربته منه الجدة، تشرب قليلا ثم تقدمه إلى لوليتا) خذى قليلا.

أغسطينيو: وأنا إلى الجحيم؟

لوليتا: (تشرب) ياله من شراب حلو!

لولا: (تأخذ الكأس الذى تعيده إليها لوليتا) حقيقة أنك لم تتذوقه.

أغسطينيو: فقط كأس الجدة.

لولا: كن طيبا (تشرب ما تبقى فى الكأس وتعيده إلى ابنها فارغا) هيا، أعدهما.

أغسطينيو: (يأخذ الكأسين الفارغين ويخرج) يا لهم من أناس بخلاء (وعندما يصل إلى منتصف الطريق يحاول أنى يلعق ما تبقى من قطرات بالكأسين الفارغين، وعندما يرفع رأيه يصرخ بصوت مرتفع) القمر الصناعى (يدخل إلى البار مهرولا ويصرخ من جديد) القمر الصناعى.

لوليتا: (تخرج راكضة، تتبعها الجدة، وخلفهما لولا) القمر الصناعى!

ماريا: (تظهر فى ممر الطابق الثانى، تنظر إلى مكان ما فى السماء وهى تشير) هناك، هناك!

بالبينا: (تخرج إلى ممر الطابق الأول وتحاول اكتشاف مكان القمر الصناعى) أين؟

ماريا: (مشيرة) هناك يا سيدة بالبينا.

لولو: (يخرج وخلفه كل الذين كانوا فى البار عدا ريكاردو والعم مارابياس) القمر الصناعى يا شباب.

بالبينا: لكن هذه نجيمة لا أكثر.

لويس: هل تعرفون كم دورة يدور حول العالم فى اليوم؟

السيد باكو: كثير.. وسيتوقف. سترون.

لولو: (ينظر إلى أعلى بإعجاب) يالهم من رجال هؤلاء الروس.

سيباس: إنهم الأمريكيون ياغبى.

لولو: حسنا. وماذا فى ذلك؟ ألا أستطيع أن أقول يالهم من رجال هؤلاء الروس!

الجدة: لاترى له أجنحة.

أغسطينيو: الأقمار الصناعية بدون أجنحة يا جدة.

الجدة: شىء سىء، شىء سىء، إنه من فعل الشيطان.

سيباس: قريبا سأدعوك فى دورة حول القمر يا جدة.

الجدة: ادعونى على شواء فى مطعم «بوتين» هذا ما أتعجله (جميعا يدورون برؤوسهم).

لولو: جول ياجدة، تشوطين أحسن من الجميع!

لويس: لو وقع الآن سيسقط على رؤوسنا.

(العم مارابياس يخرج مع ريكاردو من البار وهما مخموران تماما ويمسك العم مارابياس بربطة البالونات).

العم مارابياس: (بصوت مرتفع) أين، أين تلك البالونة؟ إنها من اختصاصى. لكن، ماذا يعتقد هؤلاء الأمريكيون؟ إنهم ليسوا الوحيدين. إن البالونات تصنع فى كل مكان.

(ريكاردو يخطف منه بالونة)

لــولــو: يا إلهى، يا لها من نشوة.

مــاريــا: ريكاردو هيا اصعد بسرعة.

ريــكــاردو: (يفلت البالون) اصعدى يا بالونة، اصعدى.

مــاريــا: السكارى الملاعيين.

العم مارابياس: (بصوت عال) من قال سكارى؟ (ضحكات صمت، ويفلت ويساعدونه على إفلات سبع بالونات) انظروا، انظروا كم قمر صناعى الآن فى الهواء؟ عدوهم. سبعة! ومن السبعة واحد فقط ليس لنا (بطرب) عاش القمر العالى جدا.

ريــكــاردو: عاش. عاش.

(يظهر ناتشو من عمق الشارع، ويتقرب مع

أغسطينيو ويقول له شيئا فى أذنه ويجرى الاثنان، ويختفيان فى خلفية الشارع بينما لايزال الحوار دائرا).

العم مارابياس: أزرق، بنى، أصفر، أخضر، نحن صناع قوس قزح، عاش الخيال.

بعض الأصوات: عاش.

العم مارابياس: (يوزع البالونات) خذ هذه لك، خذوهن يا أصدقائى، وعندما تطلقونها راقبوها إلى اللانهائى. فالفراغ ملكنا.

لــولــو: عاش العم مارابياس.

الجــمــيــع: (تضج الضحكات) عاااش.

(خوان الذى ظل على هامش هذا الطرب، يتجه نحو الكوخ، ويدخله بينما يتواصل الطرب فى الخارج، يخلع ملابسه وينام، ماريا تهبط وتحمل ريكاردو معها بالقوة).

العم مارابياس: (آمرا بصوت مرتفع) اتركوا البالونات وخلدونى ياشباب!

لــولــو: (تاركا البالونة) فلنخلده.

لــويــس: (يطلق بالونته) عاش.

بـالـبـيــنــا : لاشيء يصنع البهجة.

لـــولـــو: عاش العم مارابياس الصالح.

الجـــمـــيع: (دون أن يفقدوا جو المرح) عااش.

العم مارابياس: صمتا. (يرفع صوته) صمتا، انظروا إلى بالوناتى الملونة! تصعد: اغمضوا أعينكم وتخيلوها إنها ستكون أول ما يصل إلى القمر.

لـــولـــو: (ساخرا) ذهبت هناك. نعم.

العم مارابياس: صمتا. (بجدية وانفعال وبصوت جاد) أيها السادة من فضلكم يا سادة. (فجأة يصرخ) عاشت أسبانيا (صمت تام) عاشت أسبانيا (يسقط على ركبتيه ويضرب الأرض بقبضتيه ويعود للهتاف وهو يجهش) عاشت أسبانيا.

(تمر لحظة لا يسمع فيها سوى نهنهة العم مارابياس)

ســيــبــاس: ساعدنى يا لولو.

لـــولـــو: (يساعد سيباس على رفع العم مارابياس) هيا، لنذهب إلى البيت.

(يختفون فى الخلفية ناحية اليمين).

لـــــويس: إنسان مسكين.

السيد باكو: كم كان بطلا اليوم.

الجـــــدة: ودائما نفس النهاية، إلى الأرض.

بـالـبـيـنـا: يا خسارة الرجال.

(تسقط بالونة من الهواء، تمسك بها لوليتا).

الجـــــدة: لتر هل يسقط القمر الصناعى وينفجر.

بـالـبـيـنـا: كم تخطر لك أشياء، يا جدة.. (يسمع صوت انفجار وبعد ذلك انفجار آخر ثم بعد لحظات يقع الانفجار الثالث، ينتشر الذعر والهلع ويصبح عاما، تدخل بالبينا إلى بيتها) إنهم هنا، إنهم هنا!

لـــــويس: ما هذا؟

لــــــولا: (تنادى ابنتها) لوليتا!

الجـــــدة: (تدخل الكوخ) اللعنة على القمر الصناعى.

لـــــويس: ما هذا يا سيد باكو؟

السيد باكو: لا أدرى، لا أدرى!

(خلف الجدة تدخل لولا ولوليتا، ويدخل خوان إلى الكوخ متسائلا).

خـــــوان: ما هذا الذى حدث؟

لــــــولا: لانعرف ياخوان هل تعتقد أنت أنه سيعود إلى...؟

لـــــويس: (إلى السيد باكو) بهذه العصبية يمكن تخيل أسوأ

شيء..

خـــــوان: (إلى لولا) أين أغسطينيو؟

لــــــولا: (بهلع) ابنى!

مـــاريـــا: (تطل من الممر) ماذا حدث يا سيد باكو؟

لــــــولا: (تجرى نحو الباب) ابنى.

خـــــوان: (ممسكا بها) لاتخرجى يا لولا.

مـــاريـــا: هل انفجر القمر الصناعى؟

لــــــولا: أغسطينيو.

لـــــويس: (إلى ماريا) إنه صوت قنابل.

مـــاريـــا: (تدخل محبطة) مرة أخرى؟

لـولـيـتـا: ناتشو! أغسطينيو!

(تحاول الذهاب للبحث عنهما وعلى الباب تمسك بها لولا. خوان الذى لايرتدى سوى البنطلون، وبلا حذاء، ويرتدى فانلة داخلية يخرج عصبيا مبعدا ابنته، وعندما يرى السيد باكو ولويس يتجه نحوهما ويسألهما).

خـــــوان: ألم تشاهدا ابنى؟

لـــــويس: لا، لم نشاهده.

(يختفى خوان مهرولا فى يسار الخلفية)

الجـــــدة: اللعنة، اللعنة على القمر الصناعى.

لـولـيـتـا: (بخوف) ماما، دعينى اذهب للبحث عنه.

لــــــولا: (تمسك بها) لا، أنت لا!

السيد باكو: (إلى لويس) ألا تشم رائحة احتراق؟

لـــــويس: لن أتدخل مرة أخرى.

الجـــــدة: (تضرب بكفها على جبينها) المفرقعات، اللعنة على الأولاد.

لــــــولا: (من الباب) ماذا تقولين؟

الجـــــدة: إن هؤلاء الأولاد يحملون فى داخلهم دماء شياطين! طبعا، بسبب أفلام الحروب الكثيرة.

(المشهد السابق الذى دار فيه هذا الحوار، مشهد سريع جدا، ثم يظهر خوان من عمق الشارع ومعه ناتشو وأغسطينيو ممسكا الأول من ذراعه والثانى من أذنه ويأتى ناتشو صائحا).

نـــاتـــشـــو: دعنى، ياسيد خوان، دعنى.

السيد باكو: (يتقدم) هم الذين فعلوها. (يمسك بناتشو) دعه لى، دع لى هذا.

لـــــويس: (يخلع حزامه) الآن سأعصره.

(يرفع الحزام ليضرب ناتشو، ولكن ناتشو يخرج

مهرولا بقفزة واحدة ويتجه إلى يمين الخلفية، ولكن بعد أن يتلقى ضربة من قدم السيد باكو).

لـولـيـتـا: بسرعة يا ناتشو، بسرعة.

السيد باكو: (يخرج خلف ناتشو) يافوضوى.

لـــــويس: (يعطى الحزام لخوان) خذ يا خوان، على الأقل نعاقب هذا.

أغسطينيو: (ينفلت أغسطينيو ويختبئ خلف أمه)
ماما!

خــــــوان: (يأخذ الحزام من لويس ويلقيه إلى صاحبه ويسأله بجفاء) ألا تعتقد يا لويس أنك استخدمت هذا كثيرا؟ (يلقى الحزام على الأرض، الجدة ولولا ولوليتا يحمين أغسطينيو بأذرعهم ويدخلنه إلى الكوخ، يأخذ لويس الحزام ويرتديه ويذهب باتجاه خلفية الشارع بعد أن يودع خوان).

لـــــويس: إلى اللقاء يا خوان.

خــــــوان: إلى اللقاء يا لويس.
(يدخل الكوخ، يظهر السيد باكو لاهثا، ويدخل البار، وفى الكوخ يظهر الجميع عدا لوليتا، يبدأون فى الاستعداد للنوم، تأخذ لوليتا حذاء الأب، وتبدأ

فى تلميعه، موسيقى حزينة تطبع الجو بما يشبه الإحساس بالوحدة، ويبدأ السماء ببطء، وتسقط على المشهد بعض البالونات).

ستار

هوامش الفصل الثانى

(١) دى : دى ستيفانو لاعب كرة قدم فى نادى ريال مدريد فى عصره الذهبى ، وهو الآن مدرب الكرة بريال مدريد .
(٢) البرنابيو : استاد رياضى بمدريد .
(٣) جاليرياس برثيادوس : أحد المحلات الكبرى بأسبانيا .
(٤) محطة الشمال : هى محطة القطارات المتجهة إلى شمال أسبانيا وأوروبا .
(٥) أتوتشا : محطة القطارات الرئيسية فى مدريد .
(٦) النبيذ المبعأ فى زجاجات وهو من أجود الأنواع وثمنه مرتفع عن النبيذ الذى يباع فى براميل .

الفصل الثالث

نفس الديكور السابق ، وعندما يرفع الستار ، نشاهد القميص معلقا على حبل الغسيل بالأرض الفضاء ، وظهره مقطوع ، وقد أصبح باليا .

(فى عمق الشارع يظهر رجل متشرد ومعه سلة بيع مأكولات على كتفه يسندها بيده اليسرى وفى يده اليمنى يحمل بوقا ، وقبل أن يظهر فى المشهد يعزف موسيقى «الباسودوبلى» التى تعزف طوال المسرحية ، وعندما يصل إلى منتصف المسرح يضع السلة على الأرض ، ويهز البوق بكف يده اليسرى وينظفه ، ثم يحمل السلة مرة أخرى ، ويختفى فى

الناحية اليسرى، ويعزف. وبينما تختفى الموسيقى أو تبتعد يظهر خوان من خلفية الشارع، يأتى فى ملابسه اليومية ثابتا، ومن حين لآخر يتعثر، وعندما يصل إلى القميص ينظر إليه، وفى لحظة غضب يمزقه إلى نصفين، عندها يفتح باب الكوخ بقدمه بعنف، يدخل ويلقى بنفسه على السرير، وفى ممر ماريا، تظهر بالبينا ومعها إناء غسيل وتنشر الملابس على الحبل، وما أن تنتهى من نشر قميص نوم، يظهر ريكاردو فى الممر).

ريكاردو: لا أعرف كيف أشكرك على ذلك، يا سيدة بالبينا!

بالبينا: أنا أفعل هذا من أجلها لا من أجلك، لو كنت أنت لخنقتك، اللعنة على دمك.

ريكاردو: كنت أعمى، لم أكن أدرى ما أفعله.

بالبينا: لكنك تعرف كيف تذهب إلى البار، لتنسى، لتنسى ماذا؟ لديكم زوجات فى الحقيقة يتحملن كل عنائكم، يالكم من رجال. هل تعرف ما أريد أن أقوله لك؟
أنتم نفايات. كل شىء لديكم يمكنه أن يبدو جميلا بنصف كأس من النبيذ.

ريكاردو: (كأن الكلام ليس عنه) ماريا ستكون فى صحة طيبة أليس كذلك؟

بالبينا: حياتها أطول من حياتك؟

ريكاردو: هل تريد أن أخبر الطبيب.

بالبينا: ما يجب إخباره هو البوليس، لكن. ألم تعرف أنك قد قاربت على قتلها؟

ريكاردو: أقسم لك أنى عميت. يا سيدة بالبينا! إن هذه اللوثة التى تصيبها وتجعلها تمسك بالمقلاة..!

بالبينا: وماذا تريد منها أن تفعل المسكينة؟ هل تقبلك والخمر القذر فى فمك؟

ريكاردو: كنت أعمى.

بالبينا: ألم تكن تعرف أنها حامل.. لندع هذا الآن، ريكاردو (تنهى نشر الملابس وتواجه) اسمعنى، بينما هى فى السرير لو شربت قدرا هكذا من النبيذ (تضم الأصبع الكبير والسبابة) أقسم بأمواتى لأمزقن أحشاءك!
(تنحنى وتأخذ الإناء).

ريكاردو: (متألما) أنا بائس، يا سيدة بالبينا، أنا جبان.

بالبينا: لقد وضعت فرش سريرى، غدا سأغسل فراشكم.

هـيـا . اذهب وابق جـانـبـهـا . أنـا سـأذهب لإعـداد العشاء . حاول أن تحافظ على هدوئها ، ولا تدعها تتحرك .

ريــكـــاردو: والنزيف ؟

بــالــبــيـنــا: اعـتـقـد أنه انـقـطع . عـلى أى حـال يـجب تـنـبـيه الطبيب . مؤكد لابد من إجراء عملية . اسمع ، ماريا سقطت من على السلم . هل تـفـهم ؟ هـيـا . إلى الداخل (تدفعه) تماسك يا رجل ! (تدخل خلفه فى الكوخ ، خوان يقف بحرص من الإفراط فى الشراب ويذهب لإضاءة النور ، بعد ذلك ، مع بعض التعثر ، يقرب كرسيا من المائدة ويجلس ويخرج من جيبه خطابا بلا غلاف ، ويبدأ فى القراءة ، وفجأة يكوره بين يديه ، ويلقى به على الأرض بغضب ، يأتى خوان بهذه الحركات خلال الكلمات الأخيرة التى نطقت بها السيدة بالبينا ، تدخل لوليتا من الناحية اليمنى للمسرح بحصبة ناتشو) .

نـــاتـــشـــو: أغسطينيو قص على ذلك .

لــولــيـــتـــا: لكن لم أقل ذلك إلا للجدة .

نـــاتـــشـــو: (متوقفا) والجدة قالت لأمك ، وعندما قالته لها ،

سمع أغسطينيو الحديث .

لــولــيـــتـــا: حـسـن . ومـاذا هل حـدث شىء ؟ لن يـعـرف أنى سأخدم فى منزله .

نـــاتـــشـــو: هـذا الـرجـل حـشـرة سيـئـة يـا لـولـيـتـا . يـريـد أن يخدعك . دعيه لى . الخنزير ! . . هل تتذكرين مارى لولى ، ابنة عامل المجارى ؟ وضع عينه عليها ، وعندما استدار لحمها . . لماذا أقص عليك ذلك ؟ هذا الحقير يلقى الطعم أينما يرى الجوع . لا مفرقعات ألعاب ، فى يوم من الأيام سأضع فى محلة قنبلة .

(صمت)

لــولــيـــتـــا: هل تعرف ما كتبه سيباس ؟

نـــاتـــشـــو: نعم ، لقد قال لى شقيقك . لقد آن الأوان كى يتذكر الرجل ، كم يوم مر منذ رحيله ؟

لــولــيـــتـــا: إذن لـنـر . . فى الـيـوم الـتـالى لموت زوجـة الـعم مارابياس . يكون ستة عشر . . سبعة عشر . . اثنان وعشرون يوما . لن تتخيل الضجة التى أثارها فى البيت .

نـــاتـــشـــو: لأنه كما قص أغسطينيو ، الخطاب شجع الجميع . وأنت .

لوليتا: على الرغم من كل ذلك أمى ستذهب .

ناتشو: عمى يقول إنه لابد من الذهاب عن طريق النقابة، لأن الذين يسافرون لحسابهم يضيعون كرامتهم، هل تعرفين أن هناك فى أماكن كثيرة توجد لوحات تمنع دخولهم؟ هذا جاء فى جريدة الـ«يا». ألا تصدقين ذلك يابنت، كما لو كنا ملعونين منذ الميلاد. أولاد الـ.. لاشىء. لقد غيرت رأيى، وعندما أتخصص سأذهب إلى سويسرا. سأعلمك التزلج يابنية.

(يظهر أغسطينيو من الناحية اليسرى لعمق الشارع، خلفه الجدة مهمهمة).

الجدة: انتظر يا ملعون، انتظر.

أغسطينيو: (الذى اقترب من لوليتا ويسألهما بحماس) هل عرفتما؟

لوليتا: ماذا؟

الجدة: هذا المخلوق يجعلنى ألهث خلفه.

أغسطينيو: (الجدة التى تذهب بعيدا) يا جدة، إنهما لا يعرفان!

الجدة: (تدخل الكوخ) أنا لا أفهم فى الكرة.

أغسطينيو: (إلى لوليتا وناتشو) إن لولو كسب، ألا تعرفان الرقم؟

ناتشو: ثلاثة عشر.

أغسطينيو: أربعة عشر.

ناتشو: (بحيوية) أربعة عشر؟ يا له من رجل! وكم ربح الرقم النهائى؟

أغسطينيو: لا أعرف. هذا لا أعرفه. لكن كم يكونون، ثلاثة أو أربعة... !

(وقبل أن يكمل جملته، يخرج مهرولا ويدخل الكوخ ليقول الخبر لأبيه الذى كان واقفا يبحث عن كبريت ليشعل سيجارته، وقد ألقى ببعض أدوات المطبخ - بدون قصد - إلى الأرض ويبدو عليه السكر قليلا فتسعفه الجدة).

الجدة: ياخوان يا ابنى..

أغسطينيو: أبى، هل تعرف أن..؟

(يفقد حماسه، ويظل ينظر إلى الجدة التى تحاول مساعدة خوان).

الجدة: نام، هيا لن تستطيع الذهاب إلى المحطة.

أغسطينيو: أبى، هل تدرى ما حدث للولو؟ لقد ربح فى أربعة عشر..

(يقطع حديثه بإشارة من الجدة، التى تشير إليه بالسكوت، خوان يذهب ليأخذ إبريق الماء).

الجـــدة: (تأخذ منه الإبريق) دعه، أنا سأصب الماء.

(عندما يشعر أغسطينيو أن أباه لايعيره انتباها، يخرج لينضم إلى لوليتا وناتشو، ومن البابا يشاهدون وقع الخبر ويذهبون إلى الشارع الأمامى ويتحدثون).

أغسطينيو: تحدثه وكأنك لاتقول شيئا. يبدو غائبا عن الوعى.

لـوليـتـا: أيام كثيرة بلا عمل.

نـاتـشـو: والآن هذا ما ينقصه. أمكما تتركه.

أغسطينيو: (يخرج خلفهما) هل أصابه الخرس؟

خـــوان: وابنتك؟

الجـــدة: (التى وضعت الماء فى إناء ووضعته على الكرسى) معها بطاقة السفر. حاول أن تفهم أنها تفعل ذلك من أجل مصلحة الجميع. (يتبرد خوان بالماء عدة مرات). فى هذا البيت تنقص النقود. هنا أطفال. ألا تفهم ذلك؟ وابنتك..

خـــوان: (بعنف) ماذا حدث مع ابنتى؟

الجـــدة: بدأوا ينظرون إليها بعين الرغبة.

خـــوان: (بعنف) من الذى نظر إليها هكذا؟

الجـــدة: لايهم من؟ الرجال. أنت نفسك لو لم تكن ابنتك. ورفقة الجوع سيئة. خوان، لكن، وأنت؟ ألم تنظر إلى نفسك؟ أنت تعكر دمك ولم يعد سهلا البقاء إلى جوارك. (يجفف خوان قفاه بفوطة) عندما ذهبت لولا إلى الراسترو لتشترى القميص كيف ذهبت؟ ألم تنظر إليها؟ طبعا. لقد تعودت أن تراها تضحى. هنا تعودنا على البؤس. دون أن نذرف دمعة واحدة يا خوان، ودون أن تذرف دمعة ذهبت لشراء القميص. أقسم لك لم أرها من قبل بمثل هذه الصلابة. فى أيامى عندما كانت تحدث أشياء كهذه كنا نبكى قليلا وتخنقنا الحسرة، ونغرق أحزاننا فى فنجان شاى. الزمن اليوم ليس له روح، لا يقبل رقص التانجو. تناضل أو تنهك. أنا أقول لك حقيقتى. أنا أفضل أن تذهب أنت أما لولا فلا. ولكن لانريد أن نقيم المأتم لأنها هى التى ستأخذ القطار. (صمت)، سترافقها إلى المحطة، أليس كذلك؟ كانت فرحتها الكبرى أن هذا القميص المنشور هناك فى الخارج لو لم يستهلك بلا جدوى.

في كل مرة كانت تغسله، في كل مرة كانت تكويه، كانت تعض شفتيها. ودون أن تدرى - كانت خائفة يا ابني - كانت تستعيد الكلمات التي كان يقولها لك سكرتير صاحب العمل: «آسف، لو سمحت حضرتك أن تعود في يوم آخر. اليوم مشغول جدا..!» لاتجعلها تعاني أكثر من هذا.

(في الخارج يضاء المصباح)

خــــــوان: لو كنت أنا الذاهب يا جدة، لصرت فاشلا. وأنا لم أفشل أبدا، أقسم لك أنني لم أفشل أبدا! ولو ذهبت هي..

(صمت)

الجـــــــدة: ستعود يا خوان.

خــــــوان: بالطبع ستعود، لأنني سأظل هنا (يتجه نحو الباب، ويخرج من الكوخ حيث يكون العم مارابياس قد دخل منذ لحظات قادما من العمق واتجه إلى اليسار مرتديا ملابس الحداد، منكسر النفس، يمر بسرعة دون أن يرى خوان الذي يحييه) مساء الخير يا عم مارابياس..

العم مارابياس: (يتوقف ويتحول نحو خوان بصوت متألم، حكيم، غير طبيعي) شر ووحدة ياخوان، شر ووحدة.

خــــــوان: هل تقبل كأسا؟

العم مارابياس: (باندهاش) أتقبل كأسا.. دائما نفس الجملة!

خــــــوان: والبالونات؟ ألا..

العم مارابياس: ألا، ماذا؟ (غائبا) قوس قزح محصن إشاعة. لا وجود له.

خــــــوان: ماذا تقول؟

العم مارابياس: أنا غشاش يا خوان، نصبت على كل صبيان الحي!.. هل دققت في نظرات صبي عندما يكتشف البالونات لأول مرة؟ مدهش ياخوان. ينظرون بثقة الجسورين، كما لو كان العالم الجميل في هذه القبضة. وتلمع الفرحة في عيونهم ويجعلونك تصدق أنه.. ياللأم التي أنجبتهم! (يضحك بعصبية) نصاب، أنا نصاب.

الجـــــــدة: (التي خرجت من الكوخ، منجذبة إلى ضحكة العم مارابياس) هل أنت مريض؟ هل أنت في حاجة إلى شيء.

العم مارابياس: أن أقتل البالونات ياجدة، أقتلها!

الجـــــدة: اصحبه ياخوان، خذه إلى البيت.

العم مارابياس: ماذا تقولين يا جدة؟ إلى أى بيت؟ أين البيت؟

خـــوان: (يمسك به) هيا، ندور لنا دورة معا.

العم مارابياس: (ساخرا) دورة، دورتان. وتأتى دورات!
(يضحك بمرارة وحول ماذا؟ من أين؟..
(مشيرا إلى الأرض) حول ماذا؟

خـــوان: هيا، أرافقك إلى حيث تريد.

العم مارابياس: إلى نفس المكان يا أخى، لكن بهدوء، هدوء، أم تعتقد أننا الآن متوقفون؟ الأقدام لاتدع المشى، اجلس. إنه سواء الأمر سواء. وأى شىء آخر بالونات (مناديا) بال. نينى.. با. لا. نين بال فيلسوف أيضا. (مغيرا النغمة) غير موجود، قوس قزح إشاعة فارغة (يذهب مع خوان من الجانب الأيمن) كل البالونات سوداء، سوداء، سوداء.
(تابعتهما الجدة إلى منتصف الشارع، وهى تنظر إليهما إلى أن اختفيا، وتعود السيدة بالبينا فى الممر بعد أن جذبتها الأحاديث فتسأل).

بـالبـينـا: هل حدث شىء يا جدة؟

الجـــــدة: لاشىء، العم مارابياس لابد من حجرة، المسكين

وضع فى رأسه أن كل البالونات فى حداد. ألا تظنين أن هذا الخاطر...!

بـالبـينـا: موت خوليا أضاع رشده.

الجـــــدة: لكن يا امرأة. لقد كانت كالرمة منذ سنوات.

بـالبـينـا: نعم، لكن رمة حية يا جدة. وهذا شىء له مغزاه. ولولا هل جهزت حقيبتها؟

الجـــــدة: حتى الآن لا. ليس لديها أشياء كثيرة. يجب أن أصعد لأرى ماريا. كيف حالها؟

بـالبـينـا: اعتقد أنها تحسنت، وأيضا ريكاردو.

الجـــــدة: جميعا يابالبينا، جميعا، أحيانا يصيبوننى بالخوف، لا أحب أن أرى الرجال هكذا، يبدأون بالاحتكاكات، المنزلية، والله يعلم إلى أى حد يصلون. ماريا كانت حاملا فى أى شهر؟

بـالبـينـا: كانت فى الثانى.

الجـــــدة: فى النهاية، ينقص سكير.
(تتجه نحو الكوخ، وتتوقف أمام القميص المعلق).

بـالبـينـا: هى كانت متفائلة جدا.

الجـــــدة: لا أفهم ذلك، أنا لو كنت فى سن الإنجاب.. لا، هيا، ماكنت ألد طفلا فى هذا الحى.

بالبينا: هذا ماتقولينه لأنك خرفة، لو وقف النهدان لرأينا، ثم لولا من أين جاءت؟

الجدة: كان ذلك زمن آخر يا بالبينا.

بالبينا: بالطبع، زمن شبابك. وبأى دلال كانت دقات كعبك!

الجدة: (تدقق فى القميص وتلمسه) لكن. ماذا حدث لهذا القميص؟ يا له من قطع بالية.

بالبينا: اللعنة، أولاد ملعونون، لقد أصبح قتلهم حلالا.

الجدة: من ناحية لقد فعلوا خيرا.. الغسيل والكى والترقيع ذهبت بحياة المسكين. فى النهاية يصلح ليكون قطعتى مطبخ.

بالبينا: عندما كان زوجى على قيد الحياة، أحد قمصانه الذى اشتريته له عاش معه خمس سنوات. ولا تظنين أنه قد ارتداه مرات قليلة، لقد كان يقول إنه أصبح كجلده تماما، عندما كنت أرقعه كان يصرخ قائلا: «خدريه جيدا حتى لاتؤلمينى».

الجدة: هيا، ولاتكونى مبالغة. حسب قولك (تشير إلى القميص) هذا يجب دفنه، أليس كذلك؟

بالبينا: لا تأخذى المسألة هزلا. أنت أقول لك إن ملابس

الفقراء تكتسب صفات إنسانية.

الجدة: لاتجعلينى أبكى يا بالبينا، أتريدين أن أضع أربع شمعات لهذا (مشيرة إلى القميص) ونقيم له سهرة الوداع الأخيرة.

بالبينا: أنت تهزلين. إنه لاقيمة له. كما لو لم تكونى تعرفين قصة الياقة المنشاة، إنه ملىء برائحة رومانتيكية موبوءة. انظرى يا جدة إن مفارش ليلة عرسى أكثر حياة منى. مع أنها كافحت بما فيه الكفاية، هه؟ عندما أصبحت وحيدة رفعتها لتستريح ولم استعملها إلا فى مناسبات الذكرى، يجب أن نقول الحقيقة. بعض الدموع تجعلنى استعملها. لأننى قضيت عليها أوقاتا طيبة.

الجدة: وأوقاتا سيئة يا بالبينا.

بالبينا: فى الحقيقة نعم ياسيدتى. وأوقاتا سيئة كما تتطلب الحياة حسن. وشىء آخر. لقد صنعت بعض الشطائر من أجل لولا لتأكلها فى القطار وتتذكرنى. سأنزلها فيما بعد، إنها مصنوعة باللحم المفروم، هل تعتقدين أنها ستحبها؟

الجدة: بالطبع نعم، لكن ما سوف يحدث أنها ستصيب

معدتها التى لم تتعود ذلك. بالنسبة لى اللحم المفروم يصيبنى بالغصة، ولكنها تضيع عندما أشاهد الثمن.

بـالـبـيـنـا: (تضحك) أى أشياء لديك؟ لقد صنعتها من اللحم المفروم الفاخر. هل تعتقدين أننى لست السيد كارلوس مارتش؟

الجـدة: دون خوان، يا بالبينا، دون خوان (متشممة) شىء يحترق؟

بـالـبـيـنـا: (تدخل بطريقة عجلة) اللبن.

(تتفحص الجدة القميص قليلا، ويخرج صاحب البار).

السيد باكو: الملابس استهلكت!

الجـدة: (تترك القميص) مستهلكة لكنها شريفة.

السيد باكو: هل هناك من يشك؟

الجـدة: ربما.

السيد باكو: أنت لاتحترميننى كثيرا، هه. أليس كذلك يا جدة؟

الجـدة: مادمت تقول ذلك..

السيد باكو: أنا لا أقول ذلك، بما ألمسه، ولماذا؟ أتساءل.

(تظل الجدة ناظرة إليه) الواحد ممتلىء بالنوايا

الطيبة، ألن تسافر لولا؟ (تظل الجدة محدقة فيه دون أن تجيب عليه) ربما أسعدها الحظ، وربما جانبها التوفيق، فلابد أنك تعرفين أن الأمور هناك ليست دائما على مايرام. أتعرفين ذلك أم لا؟ (صمت) خوان لايعمل، والنتف من حين لآخر ليست حلا. وزوجتى لاتكاد تتحمل مشقة، وقد فكرت إذا كانت لوليتا.. (تستدير الجدة وتهم بدخول الكوخ) اسمعينى يا جدة (تدخل الجدة ويتبعها حتى الباب) ربما كان هذا هو الحل.. (تقاطعه الجدة وتصفق الباب فى وجهه، فيصرخ بغيظ واحتقار) أموات من الجوع (دخل خوان منذ هنيهة من الجانب الأيمن وسمع الصيحة، يتقدم نحو السيد باكو بثبات واطمئنان، يلتفت نحوه السيد باكو فيكشف حضوره ويقول له بعصبية) هل علمت بموضوع ريكاردو؟ هذا الذى يموت من الجوع.. يضرب ماريا علقة تسبب لها الإجهاض (يصيح ناحية الممرات) أموات من الجوع.

(خوان الذى كان يضع يديه فى جيوبه يخرجهما، يظن صاحب البار أن هذه الحركة تمهيد لضربه

فيتراجع للخلف بطريقة غريزية، يقول له خوان بثبات).

خوان: أموات من الجوع! (يقبض على ياقته ويقول له كمن يبصق عليه) لكنك ميت من الخوف (يدفعه تجاه البار، السيد باكو يهم بالعودة، لكنه لايلبث أن يدخل البار بسرعة، خوان ينادى على باب الكوخ) أنا خوان يا جدة.

(تفتح الجدة، ويدخل خوان) ماذا حدث؟

الجدة: ما يحدث دائما يابنى. الكلب النحيل..!

خوان: ماذا كان يريد هذا؟

الجدة: لاشيء. وضع نفسه فى مرماى فأعطيته ما يستحق. هذا كل شيء.

خوان: هل أهانك؟... قولى.

الجدة: إنه يصيبنى بالاشمئزاز، وأمامه أفقد السيطرة على لسانى.

خوان: الملعون.. فى يوما ما..

الجدة: اهدأ يا بنى.. لولا لن تتأخر، ولا أريد لها أن تراك عصبيا (يجلس خوان، مرفقاه على ركبيته ينظر نحو الأرض من بين أصابعه المتشابكة والجدة تقوم

بوضع الطعام فى علبة كرتون خاصة. بلولا) لقد وضعت لها عجة طيبة من البطاطس. وبعض القطع من السمك المقلى. وخبز وتفاحة، ستحتاجهم فى اليوم الأول، بعد ذلك يمكنها أن تشترى شيئا. ألا تعتقد ذلك؟ (صمت) إذا كنت ترى أن ذلك قليل، يمكننى أن أذهب لشراء ثمن كيلو من الجبن. هل ترى ذلك أم لا؟ (صمت) بالطبع أنت تعرف أنها قليلة الطعام. إنها تستطيع أن تعود من سويسرا بالعجة. (تغير اللهجة) لقد عانت كثيرا يا خوان، لو تركتها تذهب دون أن تبتسم فى وجهها، لطعنتها. إننى أتذكر عندما تزوجتما. الفرحة التى خرجتما بها من الكنيسة! لقد بكيت كالحمقاء. وأنت كنت تطير من الفرح. وكان شكلك جميلا أيها الملعون (صمت) انظر، هناك شيء حقيقى. كل من يولد يموت. وأنت ولولا.. وليس هناك مسيح يمكنه الهرب من المصير الأخير. إذا كنت تعرف هذا، فلا تدع لولا تسافر وهى تشعر بالمرارة. أنت تقرأ الصحف. كل يوم يحدث شيء ما. لو كان قد خطر لى أنه فى نهاية الأمر

سيصبح أنسيلمو جثة لما كان لبعض الذكريات التى توجعنى وجود. هيا، الحياة التى تعيشانها أنت ولولا لا تدعكما تندمان على شىء. (صمت) ماذا. سأذهب لشراء الجبن؟ (صمت) خوانيو، يابنى. إنها تذهب بشىء من الخوف. ألا تعتقد أنه لو لم يكن لديهما أغسطينيو والصغيرة..؟ وأنت أيضا.. وأنت. تخاف أن يأتى اليوم الذى تنفجر فيه، وتتمزق شرايينك بالدم. هى تبحث عن الهدوء.

خوان: (غاضبا) وأنا عن ماذا أبحث ياجدة؟

الجدة: لكن يا بنى، الهدوء يمكن أن يكون فى كل مكان.

خوان: نعم، لكن بالنسبة لنا، أولا يجب أن نكون هنا.

الجدة: حسن، هل أذهب لشراء الجبن أم ترى غير ذلك؟

خوان: افعلى ما تريدين.

(يظهر ناتشو وأغسطينيو من عمق الشارع، يتقافزان على بعضهما ثم تظهر لوليتا، ينحنى أغسطينيو وناتشو يقفز عليه).

ناتشو: انحن قليلا (يضربه على مؤخرته، فينتصب أغسطينيو واضعا يديه على المكان الذى يؤلمه، ثم

ينحنى ناتشو ويقفز على أغسطينيو، ويضربه بقدمه ضربة مؤلمة. ينتصب ناتشو واضعا يديه على مؤخرته) اللعنة على أبيك؟

لوليتا: متوحشون!

ناتشو: لقد ضربنى.

أغسطينيو: وأنت، ماذا؟

لوليتا: أنتم أولاد أم حيوانات؟

أغسطينيو: ماذا تريدين؟ إننا نلعب النطة.

ناتشو: هيا، انحن، هذا دورى.

أغسطينيو: أنت الذى عليه أن ينحنى.

لوليتا: دعه يا ناتشو.

أغسطينيو: اسمعى يا صغيرة، لماذا لاتفعلى مثلنا؟

ناتشو: أنت تحاول أن تبدو شجاعا.

أغسطينيو: لأن ذلك يمكنه أن يزعجك.

ناتشو: (إلى لوليتا) سألقيه أرضا (إلى أغسطينيو) فى يوم سأطفى نارك يا صبى.

أغسطينيو: أنت تضع فحما سيئا على الحياة كى لاينبعث منها دخان!

لوليتا: لاتهتم يا ناتشو. إنه أحمق.

أغسطينيو: (بمزاح مخنث) أى، انظرى.. أقسم بالله إن لم تذهبى إلى البيت.. هيا يابنية. (الجدة تخرج من الكوخ، وتنادى وهى تتجه إلى لوليتا).

الجدة: يا بنية. (تعطيها نقودا) خذى هذا وقولى للبقال أن يعطيك ثمن كيلو من الجبن الرومى المنتشيجو، هيا بسرعة.

(تعود الجدة إلى الكوخ من جديد، ولوليتا التى أوشكت على الخروج من العمق تعود وتسأل ناتشو).

لوليتا: أترافقنى؟

ناتشو: سأذهب.

(يحاول اللحاق بها ولكن أغسطينيو يمسك به وبشده من الخلف)

أغسطينيو: اذهبى وحدك يا حلوة، ياثقيلة الدم، دعى الرجال وحدهم لفترة هيا.

ناتشو: (يتجه نحوها) سأرافقك.

أغسطينيو: يواجه ناتشو لو ذهبت أنت، سأذهب أنا.

ناتشو: عليك اللعنة (مهددا) لكن.. (بحزم) إنها خطيبتى.

أغسطينيو: (بحزم أيضا) إنها شقيقتى.

ناتشو: وماذا؟

أغسطينيو: ماذا؟ يالك من أحمق. أقسم أنك حذاء، أنك حذاء.

ناتشو: ماذا أنا...؟

أغسطينيو: لا، أنا! أنا لا أباع مثلك. يا عبيط! والآن هل تقول لى لماذا ضربتنى أثناء النطة يا بغل (يدفع لوليتا نحو الخروج) هى انسحبى، البقال ينتظرك.

لوليتا: (خارجه) يالك من شقيق!

أغسطينيو: (محتضنا ناتشو) أنا مولع بك، وأنت؟

ناتشو: (يدفع به نحو الخارج) ابعد عنى ذراعيك! (فى الكوخ).

الجدة: (إلى خوان) الوقت يجرى. أين ذهبت؟ (إلى خوان الذى يقف ويتجه نحو الباب) أتذهب؟ (تحاول أن تبقيه) اسمع يا خوان: لاتذهب لولا..! (إلى خوان الذى يخرج) خوان يا بنى...! (وحدها) يالها من حياة! (يتجه خوان إلى عمق الشارع وعندما يتجه للخروج من اليمين يظهر لويس الذى يأتى مسرعا، ويقول بصوت متحمس).

لــــــويس: أربعة عشر حصل عليها لولو، (يذهب نحو البار ويصيح) ياسيد باكو (يعود باتجاه خوان ويفخم حديثه) وفقط ثلاثة حصلوا على الأرقام النهائية (وعندما يرى أن خوان قد اختفى دون أن يهتم به يعود باتجاه البار متمتما) لايهتم! ياله من رجل (نحو داخل البار) ياسيد باكو!

السيد باكو: لكن، ماذا حدث؟

لــــــويس: لاشيء، ياسيد باكو: لولو انتقل إلى الطبقة الأخرى.

السيد باكو: ماذا تقول؟

لــــــويس: لاشيء. سمك مدخن كل يوم، حمام، دفاية، ملابس داخلية كتلك التى يرتديها راكبو الخيل لكن فوق تلك الأشياء. احترام صاحب العمل. عجبا. أليست التذكرة التى أصابت فى أربعة عشر نتيجة شيئ لايذكر؟

السيد باكو: أربعة عشر؟ لكن. كم...؟

لــــــويس: ثلاثة فقط! ثلاثة أرقام صحيحة. انظر يا سيدى. ياسيد باكو اليوم الذى أحصل فيه على أربعة عشر كالتى حصل عليها لولو سأحزم متاعى وأبنائى

الخمسة، وسأذهب إلى ملقا(١) (فاردا ذراعيه) طوال العام مدفون ومستلق على الرمال وشاطئ البحر..! حسن. سأواصل نشر الخبر.

السيد باكو: أكثر من شخص سيصاب بالغيظ.

لــــــويس: (ذاهبا) لن يغيظ إلا نفسه. فليتعفن، لو كان ذلك طبعه. إلى اللقاء (يخرج من يسار الخلفية) لولو مليونير!

(يظل صاحب البار صامتا ينظر إلى الناحية التى خرج منها لويس ومن عمق الشارع تظهر لولا، ومعها حقيبة قديمة، وعندما تمر أمام السيد باكو تتوقف وتبدو وكأنها تريد أن تقول شيئا. وتواصل بعد ذلك السير فى صمت باتجاه الكوخ. ويدخل صاحب البار إلى حانته).

لـــــــولا: (وهى تدخل الكوخ) مساء الخير يا أمى. أين خوان؟

الجـــــــدة: لا أعرف يا ابنتى. قد يكون على وشك الحضور.

لـــــــولا: لقد درت نصف مدريد لأجد هذه الحقيبة.

(تترك الحقيبة على المائدة، فتفتحها الجدة).

الجـــــــدة: (تقبلها) ليست سيئة جدا.

لولا: لم يكن لدى أكثر من ذلك. ألم يكن هنا بعد ذهابى؟

الجدة: (تبحث عن خرقة) يجب تنظيفها بعض الشىء؟ (تعود بخرقة وتنظيف الحقيبة).

لولا: هذا الرجل سيدعنى أذهب أكثر مرارة مما أنا فيه. متى ذهب؟

الجدة: بعد ذهابك بقليل.

لولا: ألم يقل إلى أين هو ذاهب؟

الجدة: هل قال شيئا قبل ذلك؟

لولا: إننى أفكر فى البقاء. أشعر بالخوف من تركه هكذا. (فجأة) ماما. اكتبى لى يوميا. أرجوك: قصى لى كل ما يفعله خوان، وما يفعله الأولاد واهتمى بهم كثيرا يا أمى.

الجدة: الاهتمام بهم. نعم، ولكن الكتابة لك.. هل تعرفين كم يساوى طابع بريد إلى ذلك البلد؟ شلن. عشرون ريالا يا بنيتى!

لولا: من أول نقود أرسلها احتفظى بما يكفى للخطابات. (راجية) لاتحرمينى. إننى أحتاج إليها.

الجدة: (مغيرة) حسن. الوقت يضيق.

لولا: مازال هناك متسع، لاتتعجلينى.

الجدة: أهل هذا الزمان. ليس عندكم صبر بما يختص بالقطارات؟ لا أعرف كيف لاتفوتكم، الطعام وضعته فى هذه العبة. لقد أرسلت الصغيرة لشراء ثمن كيلو من الجبن..

لولا: قلت لك لا تنفقى من أجلى مليما واحدا أكثر من هذا.

الجدة: يا ابنتى، أنت لست ذاهبة إلى كوينكا(٢)

لولا: لدى طعام زائد، ماذا تريدين. أن ألقيه من النافذة؟ اليوم البلاد الأجنبية صارت على بعد خطوة.

الجدة: (متألمة قليلا) لاتتشاجرى معى الآن.

لولا: أنا يا ئسة. ليس من المعقول أن يفعل خوان ذلك.

الجدة: سترين كيف سيصل بين لحظة وأخرى. إنه طيب.

لولا: إنه حائر، لايجد نفسه يا أمى.

الجدة: سيأتى. الألم سيعيده، هيا. اهدئى (صمت) تتعشين بعض السمك. والجبن وتفاحة. الذى لم أشتره لك هو النبيذ. سأذهب لإحضار نصف لتر. ألا تريدين؟

لولا: (تذهب باتجاه الدولاب وتفتحه) زجاجة مياه كافية.

(بالبينا تخرج من البيت ذى الممرات وتتقدم نحو الكوخ ومعها لفة صغيرة).

الجـــــدة: مياه ماركة «لوثويا» ستفتقدينها يا ابنتى. يقولون إنها الأحسن فى العالم. وأنا أقول إنهم لا يبالغون.

بـالـبـيـنـا: (بالباب) هل يمكن الدخول؟ (فى الداخل) لولا، هنا بعض الشطائر التى أتقن صنعها، لتأكليها عندما تعبرين الحدود. وسترين كيف ستبكين!

الجـــــدة: (مداعبة) كأنك طباخة لبعض القطط السمان.

لــــــولا: (إلى بالبينا) أشكرك جدا على كل هذا يا سيدة بالبينا. أنت طيبة جدا.

بـالـبـيـنـا: شىء عادى يا بنيتى. من القليل الذى تعلمته من طيبة الأخريات. مع أنى لست تلميذة مجتهدة. ولنغير الأسطوانة، بعض الشطائر لاتستحق كل هذا.

لــــــولا: أنت تعرفين أننى لا أقول ذلك من أجل هذا فقط.

بـالـبـيـنـا: أنا التى ستبكى.

الجـــــدة: إذن، هذا ما كان ينقصنا.

بـالـبـيـنـا: هل حدث شىء؟ (إلى لولا) ابسطى أسارير هذا الوجه يا امرأة. الدنيا لم تعد واسعة والرحلة

الوحيدة الطويلة هى الأخيرة.

الجـــــدة: أيهما يا بالبينا؟

بـالـبـيـنـا: تلك التى فيها «الخبازون» ليس هناك مثله. أتعرفين لماذا؟ لأنهم لايقبلون الشطائر.

الجـــــدة: إذن لو تأتين أنت اليوم..

لــــــولا: اصمتن! استحلفكن بما تحببنه.

بـالـبـيـنـا: (تقترب من الجدة) ماذا يحدث؟

الجـــــدة: خوان. تخشى ألا يأتى لتوديعها.

بـالـبـيـنـا: أنتن لاتعرفنه إنه طيب الأصل (إلى لولا) يمكنك تجهيز الحقيبة بهدوء. (من العمق تدخل لوليتا وناتشو وأغسطينيو والمشهد التالى يتم تنسيقه بين هؤلاء والذين يقومون بأدوارهم فى الكوخ).

لـولـيـتـا: (تدخل وتحدث ناتشو) بالنسبة لجدتى أنت خفيف الدم.

نـاتـشـو: (بسرعة) نعم، لكن بالنسبة لأمك..

بـالـبـيـنـا: من أجل زوجك أضع يدى فى النار.

أغسطينيو: وبالنسبة لأمنا أيضا يا عبيط. مايحدث هو ما يحدث.

بـالـبـيـنـا: كونى أشد خوفا بالأحرى من أنه عندما يعانقك

مودعا لايفلتك .

لـــــــــولا: لكن . ماذا تفعلين يا سيدة بالبينا ؟ أين هو ؟

أغسطينيو: (إلى ناتشو ويدفعه نحو الكوخ) هيا ، أدخل .

نـــاتـــشـــو: لا ، لا !

بـــالـبـــيـــنـــا: يتنزه فى الحوارى .

نـــاتـــشـــو: أنا أنتظر أن تقولا لها .

بـــالـبـــيـــنـــا: يضيع بعض وقت الوداع حتى يجعله أقل عذابا .

لـــــــــولا: إنه قاس .

لـــولـــيـــتـــا: لكن ألا تذهبين . هه ؟

بـــالـبـــيـــنـــا: نعم يا مرأة . لكن ليس لأحدكما ذنب .

أغسطينيو: إنه سيذهب ! ياله من ثعبان .

لـــولـــيـــتـــا: (تدخل الكوخ) أهلا يا سيدة بالبينا .

الجـــــــــدة: (تأخذ لفة الجبن وتبتعد عن لوليتا) إنه ثمن كيلو ؟

أغسطينيو: نعم ياجدة . هذه المرة لم يأكل منه أحد .

لـــولـــيـــتـــا: أمى . . (لولا تقف إلى جوار الدولاب ، وتخرج منه بعض الملابس وتضعها على المقعد المجاور ، للحقيبة ، وتنظر إلى ابنتها) ماما . . ناتشو فى الخارج .

لـــــــــولا: ماذا يريد ؟

لـــولـــيـــتـــا: يقول إنه يرغب فى توديعك . هل تسمحين له

بالدخول ؟

لـــــــــولا: نعم يابنيتى . . دعيه يدخل .

(تقول هذا بعد أن تنظر إليها مفكرة)

لـــولـــيـــتـــا: (تذهب بسرعة باتجاه المدخل لتنادى ناتشو) لقد قالت نعم ، ادخل يا ناتشو ، إنها موافقة (يتردد ناتشو فيما يدفعه أغسطينيو ليجبره على الدخول) .

أغسطينيو: (بهزل) هيا .

نـــاتـــشـــو: (بداخل الكوخ) مساء الخير يا سيدة لولا .

الجـــــــــدة: وللأخريات . ماذا ؟

نـــاتـــشـــو: آسف ، لأنى قليلا . . (تدفعه لوليتا نحو أمها وعندما يصل إلى جانب لولا) تمنياتى برحلة سعيدة يا سيدة لولا .

(يمد لها يده) .

لـــــــــولا: (تمسك يده ، وتضغط عليها ، وتداعب ذقنه) شكرا يابنى .

نـــاتـــشـــو: (فرحا ولكن بخجل) وحظ سعيد يا سيدة لولا ، حظ سعيد جدا .

(بينما يتم هذا المشهد ، تكون الجدة قد أسرت شيئا

في أذن أغسطينيو الذي يشير نحو لوليتا لتتبعه، يخرجان وخلفهما يخرج ناتشو فرحا بلقاء لولا).

أغسطينيو: (في الفضاء المجاور) يجب البحث عن أبي. كل منا يذهب في اتجاه.

لوليتا: (بسرعة) أنا سأذهب مع ناتشو.

أغسطينيو: لا، أنت..

ناتشو: (مقاطعا) لن تذهب وحدها في هذه الساعة!

أغسطينيو: (بعد أن ينظر إليهما قليلا) حسن، لكن.. (هو يراهما يخرجان من يمين العمق) احترسا. هه؟

(يخرج ناتشو ولوليتا من الناحية اليمنى متماسكان بالأيدي ويضحكان).

بالبينا: (إلى لولا) أتمنى لك كل طيب في هذه الدنيا يالولا. أنت سيدة عظيمة (لولا تعد الحقيبة) وأنا قلت للجدة إنني سأكون كما لو كنت أنت. أقسم لك أنني أشعر بالفخر عندما أقدم ما استطيع من مساعدة. (تنتزع الكلام بانفعال) لو أنني كنت ثرية..

لولا: أنت ثرية حقا. ياسيدة بالبينا. لك قلب كبير.

بالبينا: القلب وحده لايساوي أكثر من قشرة يا ابنتي، ضعي البشاشة على هذا الوجه قليلا يا صغيرتي.

(يظهر خوان في العمق وهو غارق في العمق وهو غارق في التفكير).

لولا: كم نحن مدينون لك يا سيدة بالبينا.

بالبينا: لاتكوني عبيطة.. يا طفلتي، في الحقيقة أنا أتقاضى ثمنا كبيرا، وهو شعوري بأني شقيقتكم.

(يدخل خوان الكوخ. تنظر السيدات الثلاث إليه).

لولا: أهلا خوان.

(خوان لايجيب، وبالبينا تقول للجدة متعمدة).

بالبينا: إذن أتصعدين قليلا لرؤيتها. أليس كذلك؟

الجدة: (تدرك المغزى) نعم، بالطبع! (تتبع بالبينا نحو الباب) مسكينة ماريا، وتقولين إنها عبرت مرحلة الخطر؟

بالبينا: (في الأرض الفضاء) هذا ما يبدو لي، لكنني لست الدكتور طرطوسا: الذي يجب أن نستدعيه.

الجدة: (تتبع بالبينا نحو البيت ذي الممرات) لكن، هل لديهم ما يدفعونه له؟

بالبينا: إن لم يستطيعوا الدفع سيان، هذا طبيب حقيقي.

(تدخلان البيت) .

لــــــــــولا: أعتقدت أنك لن تأتى . (يجلس خوان فى صمت) بقى القليل من الوقت ، قل لى شيئا ، أرجوك (تريه فستانا بألوانه براقة ومرحة ، رخيص الثمن ، ومودة قديمة) أتذكر ؟ . . . لم يكن قد ولد أغسطينيو بعد . فى يوم ، عيد القديس « ايسيدرو » ، أخذتنى إلى وسط المدينة ، واشتريته لى ، كان يوم سبت ، وفى المساء ذهبنا إلى الاحتفال ، وأمضينا طوال الليل ، هل تتذكر ؟ وياله من انزعاج عندما جلسنا على شاطئ المانثانارس(٣) ولطخت لى الفستان بالطين . (صمت) كنت سعيدا يا خوان (من الناحية اليمنى من المسرح تدخل لوليتا وناتشو وهما يتحدثان . يتوقفان قليلا فى منتصف المشهد ينظران حولهما ، ناتشو يطوق لوليتا بيديه ويختفيان فى عمق الشارع) ولم أكن أرغب فى الجلوس ، وأنت ضحكت كثيرا بعد ذلك . مكثت تضحك طويلا ، وشىء ما أثار ضجة وسألتك بخوف : « ما هذه الضجة ياخوان » . « الأسماك يا لوليا ! الأسماك » وكانت فئران كبيرة كالقطط . لو كنت أعرف ذلك فى تلك اللحظة لمت . (تقترب من خوان من الخلف وتنحنى عليه ، وتحيط عنقه بذراعيها ، يبعدها عنه ، وهى تبتعد بجفاء ، وتواصل وضع الملابس فى الحقيبة . وفجأة تريه قميصا داخليا وتسأله) وأيضا ألا تقول شيئا عن هذا ؟ (لايجيب فتريه بعض الملابس الداخلية الأخرى) ولا هذا ؟ (يقف خوان ويتجه للداخل ، وتريه قطعا داخلية أخرى) ولا هذا ؟ (يعود نحوها وهى تمسك بقطعة داخلية أخرى وتلقيها على وجهه وتقول له بعنف) ولا هذا أيضا ؟

(يلقى بنفسه على لولا بحنق ، ويعانقها بلا توقع ، وهى تستجيب بنفس القوة ، فى النهاية يحملها إلى السرير ، بعد ذلك يغلق باب الكوخ ، ويطفئ النور ، ويشد الستارة التى تعزل السرير عن باقى الكوخ ، ويبقى فى الداخل مع زوجته . من عمق الشارع تأتى موسيقى نحاسية وطبلة مع رجلين من الجيران حملا لولو على أكتافهما) .

لـــــولـــــو: مباركة الأم التى أنجبتنى ، أنا مليونير .

(من الناحية اليمنى ، يظهر أغسطينيو بقفزة

واحدة، ويصبح خلف لولو، ثم يأتى بعد ذلك ناتشو ولوليتا ولويس. ويخرج السيد باكو من البار وبعض الزبائن، بعض الجارات يظهرن على المسرح).

لــــويس: عاشت المراهنات.

بـعـضـهـم: عاشت.

لــــولــــو: (إلى الذين يحملونه) إلى الأرض يا رجال. أنا لست معتادا على هذا.

نــاتــشــو: ماذا حدث للموسيقى؟

لــــولــــو: (إلى الفرقة النحاسية) وأنت، هيا، افرحوا (يبدأون فى العزف من جديد موسيقى «الباسودوبلى» التى دخلوا بها إلى المشهد) إلى الرقص هيا أنا آمركم.

السيد باكو: (يرقص مع طفلة) عاش السيد لولو.

الجـمـيـع: عاش.

أغسطينيو: الله، الله، الحياة قصيرة!

السيد باكو: عاش الشباب.

لــــولــــو: (يلعب مصارعة الثيران مع أغسطينيو بينما الآخرون يرقصون، ثم يتوقف عن اللعب) كفى يا

فرقة. (يتوقف الهزل وينتبه الجميع) هيا، أدعو كل الحى، وأنت أيضا ياسيد باكو. جميعا مدعوون إلى هذا الحفل.

لــــويس: لكن ليس فى حانتك. إنه مكان مهمل.

لــــولــــو: إلى الكافتيريا، على الناصية، يا رجال! (يتبعون الجوقة ما عدا لولو والسيد باكو يخرجان من يسار الخلفية. يدخل باكو إلى البار لإنجاز شىء، لولو يتقرب من الكوخ ويدق على الباب بأصابعه بإصرار) خوان، خوانيو، لولا.. هل أنتما هناك؟ (يذهب باتجاه البار وينادى) ياسيد باكو، هل تعرف إن كان هناك أحد فى بيت خوان؟

السيد باكو: (من الداخل) فقط شاهدت الجدة تخرج. لولا لابد أن تكون بالداخل.

(يفتح خوان الستارة)

لــــولــــو: (يعود إلى الكوخ) إذن لابد أنها ماتت (يدق الباب من جديد) لوليا افتحى الباب للمليونير. (يفتح خوان الباب فيدخل لولو، يتعانقان بفرح) لكن، ألم تعرفوا؟ أنا.. (يقطع الحديث عندما يرى الحقيبة مفتوحة ملقاة على المائدة، ومن خلف

الستارة تخرج لولا، وهى تضم زرار الفستان العلوى) لولا قولى لسيباس إن الحال أصبح طيبا، قولى له.. أنا سأظل هنا! (يقدم لها يده) حظ سعيد ورحلة سعيدة (ينطفى نور البار، ويخرج السيد باكو، ويلتقى بلولو الذى يأتى من اتجاه الكوخ) هل تأتى يا سيد باكو؟

السيد باكو: نعم، هيا.

لولو: (يذهب مع السيد باكو إلى العمق) هل تعرف ماذا سأفعل بهذه النقود سأفتح كافيتريا صغيرة.

السيد باكو: حدثنى بلا تكليف.

(يختفيان فى الناصية اليسرى، يقف خوان ولولا إلى جوار الحقيبة المغلقة، يتواجهان، لولا تداعبه فى ذراعه، الجدة التى خرجت من المنزل ذى الممرات، تدخل الكوخ وتفاجئهم وتقول متأثرة).

الجدة: بورك فيكما يا أبنائى.

خوان: يا جدة، ابحثى عن الأولاد، نحن سنسير باتجاه المترو.

(تذهب الجدة باتجاه يسار الخلفية، منهية المشهد، يبدأ سماع الموسيقى التى أنهت الفصل الثانى،

يأخذ خوان الحقيبة ويخرج من الكوخ، يتوقف لحظة أمام القميص المعلق على حبل المنور، لولا وحدها فى الكوخ تتأمل بتأثر جميع جوانب الكوخ، والدموع فى عينيها، تمسح على المائدة بكفها وتقبلها، بعد ذلك تتجه بالحديث إلى جميع الأشياء).

لولا: على أى حال شكرا.

(تقف على الباب، تطفئ النور، تغلق الباب، يظل المشهد مضاء بضوء أبيض مبهم، ويتركز على القميص، لولا تتوقف أمام القميص، تمرر يدها على الحبل كما لو كانت تدغدغه، فجأة ينبعث صوت ماريا، وهى تمزق بعض الأشياء).

ماريا: لا أستطيع (بضيق) لا أستطيع أكثر من ذلك.

ريكاردو: ماريا!

ماريا: دعنى!

ريكاردو: ماريا، ماذا تريدين أن تفعلى؟

ماريا: أنا قلت لك اتركنى. (تخرج إلى الممر بالطابق الثانى بقميص داخلى) لولا، لولا أخرجينى من هنا. (يخرج ريكاردو خلفها) اخرجينى من هنا

(تبكى ويحاول ريكاردو حملها) اخرجينى من هنا يا لولا .

(تخرج لولا مسرعة ، وهى تتبع خوان ، وتخرج من يمين الخلفية باتجاه القميص الذى يظل معلقا كالمشنوق ، ثم يسقط) .

النهاية

هوامش الفصل الثالث

(١) ملقا : مدينة فى جنوب أسبانيا .
(٢) كوينكا : مدينة شمال العاصمة الأسبانية .
(٣) المانثانارس : نهر قرب مدريد .

صدر مؤخراً فى سلسلة
آفاق عالمية